مجلة تسليم
Journal Homepage: https://tasleem.alameedcenter.iq
ISSN: 2413-9173 (Print) ISSN 2521-3954 (Online)

"فِي التَّسْلِيْمِ النَّبَوِيِّ"

القَصِيدَةُ الدِّيْوَانُ (الْـمُحَمَّدِيَّةُ)
للشاعر عمر هزّاع، دِرَاسَةٌ فِي البِنَاءِ النَّصِّيِّ وَالتَّشْكِيْلِ المَلْحَمِيّ

أمل سلمان حسان[1]

١ المديرية العامة للتربية / محافظة بغداد/ الكرخ الأولى, العراق ؛ amalsalman44@Yahoo.com
دكتوراه في اللُّغة العربيّة / مدرّس

تاريخ التسلّم	تاريخ القبول	تاريخ النشر
٢٠٢٣/٢/١	٢٠٢٣/٢/٢٧	٢٠٢٣/٣/٣١

DOI:
10.55568/t.v13i24.24-64

المجلــد (١٣) العــدد (٢٥)
رمضان ١٤٤٤هـ-آذار٢٠٢٣م

CC BY NC

مُلَخَّصُ البحْث:

لـم يَعدّ الشّـاعر المعاصـر بعـد مرحلـة مـا يسـمّى - بالربيـع العربـي - يكتفـي لإيصـال معانـاة مجتمعـه، وخيبـات أمّتـه، وخيانـات السـلطة الحاكمـة ، بالمقطوعـات الشـعرية المحـددة. أو بالمقاطـع النصيّـة، أو بالومضـة الشـعرية، إنّمـا اتّجـه وبحركـة ارتداديـة مضـادة تحـاول إحيـاء الشـعر الجماهيـري، وردم الفجـوة التـي حصلـت بيـن المتلقـي وشـعر الحداثـة، إلـى نظـم القصائـد الطّـوال ذات النفـس الملحمـيّ، وهـو مـا أطلـق عليه بـالقصيدة النـص/ الدّيـوان التـي تسـمح لـه بقـول كلّ شـيء، وتفصيـل الوقائـع، وفضـح المسـكوت عنـه، وهـي قصيـدة تـكاد تقتـرب فـي بنائهـا المعمـاري وخصائصهـا الفنيـة مـن الشـعر الملحمـي. وإن اختلفـت عنـه فـي الشـكل والمضمـون، وقـد بلـغ هـذا النـوع مـن النظـم، قمـة مجـده ونضوجـه الفنـي علـى يـد الشـاعر السـوريّ عمـر هـزّاع فـي قصيدتـه (وسـراجاً منيـراً) التـي نحـاول مقاربتهـا فـي هـذه الدراسـة، وبيـان خصائصهـا الفنيـة ونزوعهـا الملحمـي وسـماتها تنظيـراً وتطبيقـاً.

الكلمات المفتاحية: مرحلة التأسيس، طبيعة النص المدروس، النص الموازي، خصائص البناء الملحميّ.

Diwan Poem "Muhammadan" of Omar Al-Hazaa (Study on Textual Construction and Epic Formation)

Amal Salman Hasan[1]

1 General Education Directorate of Baghdad, First Karkh, Iraq ;

amalsalman44@Yahoo.com

PhD in Arabic Language / Lecturer

Received:	Accepted:	Published:
1/2/2023	27/2/2023	31/3/2023

DOI: 10.55568/t.v13i25.24-64 | Volume (**13**) Issue (**25**) | Ramadan 1444 H March 2023

CC BY NC

Abstract

Not only is the poet in the period after the so called " Arab Spring" satisfied with conveying the images of pains to the society suffering , or frustration of his nation or the images of the betrayals of the rulers with poetic lines or poetic sparkles , but he adopts certain reciprocating moves to revive the public masses poetry and bridge the gap between the interlocutor and modern poetry when writing long poems with an epic spirit .That is called the text , Alnass , or the diwan , Aldiwan, that allowed him to unveil everything , the details of the events and the unleashed events .It is the poem that is close in its structure and artistic characteristics to the epic poetry even it is different in content and form .This form of writing reaches its high glory and maturity by the Syrian poet , Omar Haza' , whose poem , "Lightening Lamb" is the main focus of the study to fathom its artistic characteristics , epic tendency , features in theory and practice .

Keywords:Establishment period, Nature of Studied Text, Parallel Text. Characteristics of Epic Building.

التوطئة:

مـرَّ الشـعر العـربي بتحـولات كثـيرة رافقـت مسـيرته الطويلـة سـواء عـلى مسـتوى الشـكل أم عـلى مسـتوى المضمـون، صاحبـت التغيـيرات الكـبرى في المنظومـات السياسـية والثقافيـة والاجتماعيـة والاقتصاديـة، وقـد كان لـكلّ مرحلـة خِطابهـا الشـعري الـذي مثّلهـا خـير تمثيـل.

وفي عصرنـا الراهـن، ومـع قيـام ما يسـمى - بالربيـع العربي - وما جرّه من شـتاء قـارص البرودة لا تـزال آثـاره قائمـة إلى يومنـا هـذا، وقيـام الثـورات التحرريـة في مختلـف البـلاد العربيّـة،لم يكتـفِ الشـاعر للتعبـير عـن واقـع مجتمعـه وفواجـع أمتـه، بالمقطوعـات الشـعرية المحـدّدة، أو النصـوص الطويلـة المتفّرقـة، إنّـما اتّجـه وبحركـة ارتداديـة مضـادّة إلى نظـم النـصّ القصيـدة، أو القصيـدة الديـوان، التـي تسـمح لـه، بقـول كلِّ شيء، وتفصيـل كلّ شيء، وفضـح المسـكوت عنه،"فعظمـة الحـدث، وجـلال الخطـب، لا يمكـن إبرازهمـا، بنـصٍّ واحـدٍ أو بنصّـين، فـكان النصّ الديـوان، هو الوسـيلة التعبيريـة الناجعـة للإحاطـة الشـاملة، وصياغـة التجربـة الشـعرية "[١].

هـذا النـوع مـن النظـم، ليـس بجديـد مـن ناحيـة الشـكل، فهـو يقـترب بدرجـة أو بأخـرى ممّا يسـمّى بـــ (الشـعر الملحميّ)، وإنْ اختلـف في المضمون وفي الدلالـة، إلاّ أنّه وجـد الحضانة الدافئة ليزدهـر مـن جديـد عـلى أثر قيـام الثـورات التحّررية التـي رافقت الربيـع العربي؛ ذلك أن نشـوء مثل هـذه الثـورات يُعـدُّ شرطـاً ثابتـاً مـن شروط الملاحم، فالأحـداث الثوريـة الكبرى تـؤدي إلى قلب في معـالم الحيـاة الاجتماعيـة والخلقيـة والسياسـية والدينيـة وإلى تجديـد النفوس وتسـاميها.[٢]

والشـعر الملحميّ عـلى نحـو مـا متعـارف عليـه " قصّـة شـعرية قوميـة بطوليـة خارقـة "[٣]. ذو نزعـة سرديـة تكتـب بأسـلوب أدبي مشـوّق، تتغنـى بالمنجـزات العظيمـة لأمّـة مـن الأمـم أو بطـل مـن أبطالهـا القوميـين، وتعالـج موضوعـات مختلفـة، كأن تكـون تاريخيـة أو دينيـة أو وطنيـة، إلاّ أنّهـا تنفـرد بعـدد مـن الخصائـص، فموضوعاتهـا وقائـع الأبطـال الوطنيـين العجيبـة التـي تبوئهـم منزلـة الخلـود بـين بنـي وطنهـم.

١ خرقي, محمّد الصالح, فضاء النص، نص الفضاء، دراسة نقدية في الشعر الجزائري المعاصر, ط٢ (القبة: منشورات آرتيستيك, ٢٠٠٧), ٩٦.

٢ بوصافة, أحمد, فن الشعر الملحمي ومظاهره عند العرب, ط١ (دار الشرق الجديد, ١٩٦٠), ٥٣-٥٤.

٣ كحوال, محفوظ, فن الملاحم، الأصول والنشأة والتطور، أوديسة هوميروس, د.ط. (قسنطينة: دار نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع, ٢٠٠٩), ٣،٥.

وقد اختلف الباحثون في الهُويّة العربيّة لهذا النوع من النظم وتعدّدت الآراء ما بين قبول ورفض[٤] [٥]، وانتهت إلى القول: " إنَّ الشَّاعر العربي صوّر الملحمة العربيّة المُصغَّرة، فكانت معلقته نشيد النفس المشرقية في عزّتها وكرامتها، في بأسها وسماحتها في فضيلتها وإنسانيتها"[٦] ، ورأى معرّب إلياذة هوميروس، سليمان البستاني، أن " الملاحم القصيرة المختصة بلغة العرب،ولاسيّما ما قيل منها في الجاهلية كالمعلّقات، ترى فيها من سرد الحوادث وتفصيل الوقائع، وتمثيل المشاهد وبداهة الفكر، ما يُعدُّ في أعلى طبقات الشعر القصصي" [٧].

تأسيسًا على ما سبق، يمكن القول: إنَّ هذا النوع من النظم ليس بجديدٍ بل هو امتداد لما عُرِفَ في الشعر الملحمي، الذي ظهر عند شعوب السرديات الكبرى التي قامت حضارتها على المشافهة، وقد اقترب الشاعر العربي من هذا النوع من النظم، فظهر النفس الملحمي واضحاً في شعر المعلقات الجاهلية، وفي قصائد متفرقة قيلت في مختلف العصور، لكن مع تسارع عجلة الأحداث وتطور الحياة، شهد هذا النوع من النظم، نكوصاً وتراجعاً، فتحوّلت القصائد الطوال ذات النفس الملحمي إلى قصائد التوقيعة والومضة والشذرة، وأصبح الشاعر يكتفي بأبيات محددة تقوم على التكثيف اللغوي والاختزال، إلى درجة وصلت فيها القصيدة إلى الغموض والتعقيد، فحدثت فجوة بين القارئ وهذا النوع من الشعر، فأصبح نخبويًا لا يفهمه إلاّ من أُوتي حظاً من العلم والمعرفة.

ومن هنا نحاول في هذه الدراسة، تسليط الضوء على هذا النوع من النظم القديم في شكله والجديد في مضمونه، في ضوء تتبع مرحلة التأسيس له، والخصائص الملحمية التي انماز بها، متخذين من قصيدة ... وسراجاً منيراً مجالاً للتطبيق.

المحور الأول: مرحلة التأسيس

لو تتبعنا البدايات الأولى لهذا النوع من النظم، نجد أنَّ النفس الملحمي في الشعر العربي

٤ كفافي ,محمّد عبد السلام, في الأدب المقارن، دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي, ط١ (بيروت: دار النهضة العربيّة للطباعة والنشر, ١٩٧١), ٢٦٦_٢٦٧.

٥ هيمة, عبد الحميد, علامات في الإبداع الجزائري, د.ط., د.ت.٥٢ .

٦ غريب, جورج, الشعر الملحمي، تاريخه وأعلامه، ابن كلثوم، ابن حِلّزة، ابن شداد، سلسلة الموسوعة في الأدب العربي, د.ط. (بيروت: دار الثقافة, د.ت.) ,٦٩ .

٧ البستاني ,سليمان, إلياذة هوميروس، " معرَّبة نظماً ", د.ط. (بيروت: دار المعرفة, د.ت.) ,١/ ١٧٣.

كان مرافقاً للشعراء بدءاً من القصائد المعلقات وانتهاءً بعصرنا الحالي. وإنْ اختلفت بدرجة أو بأخرى، بحسب المتغيرات السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، فالشعراء في العصر الجاهلي مثلاً " لم ينظموا الملاحم الطويلة المُحكّمة العُرى مع توقّد القرائح ، وتوافر معدات الفصاحة في اللُّغة؛ لأنَّ ذلك النسق في النظم لم يكن في طبعهم، فلم يتخطوا إلى ما وراء الطبيعة، وكانوا مع عبادة الأصنام يميلون إلى التوحيد "[٨]، إنما نظموا ما أطلق عليه بالملاحم الثانوية، إذ تمكّن بعض الشعراء من توظيف الفن الملحمي العملاق لأغراضهم الشخصية الصغيرة، فنجحوا بذلك في تغيير مسار الفن الشعري كلّه.

في هذا الصدد، نجد الباحث عبد السلام كفاني، يرى أن آدابنا الإسلامية عرفت هذا اللون من النظم، قبل أن تعرفه أوربا " فشعراء الصوفية من العرب نظموا لونًا فريداً من الملاحم الأدبية، ومن أشهر ما وصلنا من ذلك، حديقة الحديقة للسنائي، ومنطق الطير لفريد الدين العطار، والمثنوي لجلال الدين الروميّ، وربما يُعدُّ المثنوي للرومي، من أعظم الملاحم الأدبية التي ظهرت في الآداب الإسلامية "[٩].

فالشعر العربي بمختلف عصوره لم يخلُ من النفس الملحمي، فالعرب " نظموا الملاحم على طريقتهم الخاصة "[١٠]. ويذهب سليمان البستاني إلى تسمية ما كتبه الشعراء العرب من بطولات منذ الجاهلية بـ(الملاحم القصيرة)، فهي في نظره " جمعت الحسنين، أي حسن الشعر الفني المتوثب، وحسن الشعر القصصي المتمازج بالأحداث "[١١]. ومع تقدم الحياة، وتغيير مساراتها، أصبح الشعر الملحمي يجزأ إلى مقطوعات صغيرة، تعالج موضوعات مختلفة، أي أنَّه لم يُعد ملحمياً بالمعنى السليم والمتعارف عليه عند شعوب السرديات الكبرى[١٢].

وهذا يعني أنّه إذا كانت " الملحمة قد انتهت شكلاً في الكتابات الشعرية والدرامية القديمة، فإنَّ النزعة الملحمية لا تزال مستمرة، بوصفهِ محتوًى فنياً لصيقاً بالأجناس الأدبية المعاصرة يحتضن الإنسان المعاصر مواكباً همومه وتطلعاته، وباحثاً عن حلول لأزماته ومشاكله اليومية،

٨ البستاني, ١٧٢.
٩ كفاني, في الأدب المقارن، دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي ,١٧٥ .
١٠ الخطيب ,حسام, آفاق الأدب المقارن عربياً وعالمياً, ط٢ (دمشق: دار الفكر, ٢٠٠٣), ١٥٦.
١١ البستاني, إلياذة هوميروس، " معرَّبة نظماً" , ١/ ١٧٣ .
١٢ عثمان, أحمد, الأدب الإغريقي تراثاً إنسانياً وعالمياً, ط٢ (القاهرة: دار المعارف, د.ت.) , ٨٨ .

ويرتدي في كلِّ حين ملامح مستحدثة تواكب دينامية الحياة المعاصرة ومختلف تطوراتها " [١٣].

وإذا وقفنا قليلاً عند العصر الحديث، متجاوزين ما نُظم من قصائد ذات النفس الملحمي في العصر الجاهليّ والإسلاميّ والأمويّ، نجد ازدهار هذا النوع من النظم في مصر، فالشاعر أحمد شوقي، نظم في منفاه في الأندلس ملحمته الشعرية المعروفة بدولة العرب وعظماء الإسلام، بلغت حوالي ١٧٢٦ بيتاً، بدأها منذ ولادة الرسول الكريم محمّد ﷺ إلى آخر الدولة الفاطمية، وقد عُدَّت تاريخًا شعريًا لمراحل إعداد وبناء الدولة عند القدماء [١٤].

وسار الشاعر أحمد محرم ١٨٧١-١٩٤٩م، على خطى أحمد شوقي، فنظم ملحمته المشهورة بـ (الإلياذة الإسلامية)، سجّل فيها أحداث السيرة النبوية الطاهرة تسجيلًا دقيقًا وعلى فترات متباعدة، فقد قسَّم ديوانه على أربعة أجزاء، فتحّدث في " الجزء الأوّل عن حياة الرسول محمّد ﷺ في مكّة، ثمَّ عن هجرته، ثمّ عن استقراره في المدينة، ومؤاخاته بين المهاجرين والأنصار، وموقفه من اليهود والمنافقين، ثمّ تحدّث عن الغزوات وما وقع فيها من أحداث وبطولات استغرق بقية الجزء الأوّل، والجزأين الثاني والثالث، وفي الجزء الرابع تحدّث عن الوفود التي جاءت إلى النبي الكريم ﷺ تبعها الكلام عن الكتب والرُّسل التي بعث بها النبي ﷺ إلى الملوك والحكام، ثم تحدث بعد ذلك عن السَّرايا التي أُرسلت إلى مختلف أنحاء الجزيرة العربيّة، ليختم الشاعر إلياذته بآخر عمل قام به الرسول قبل وفاته، وهو إرساله أسامة على رأس جيش المسلمين إلى غزو بلاد الروم" [١٥]، وقد جاءت هذه القصيدة على شكل مقاطع تقصر وتطول، جعل الشاعر لكلِّ مقطع عنوانًا، والظاهر أنَّها على نحو ما ذكرنا كتبت على فترات زمنية متفاوتة مما أبعدها عن صفة التماسك النصي.

وفي الجزائر نجد الشاعر مفدي زكريا، كتب منذ مطلع التسعينيات قصيدته إلياذة الجزائر، التي عُدّت من أبرز التجلّيات والفتوحات الجديدة في القصيدة الجزائرية المعاصرة، وتبعه في هذه التجربة عدد غير قليل من شعراء الجزائر حاولوا النسج على منوال هذه القصيدة.

---

١٣ عثمان, ٩٦.

١٤ خفاجي ,محمّد عبد المنعم, دراسات في الأدب المعاصر, د.ط. (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، دار الطباعة المحمّدية بالأزهر, د.ت.) ,٤١٥ .

١٥ محرم, أحمد, ديوان مجد الإسلام أو الإلياذة الإسلامية, أشرف على تصحيحه ومراجعته. محمّد إبراهيم الجيوشي, د.ط. (القاهرة: مطبعة المدني, ١٩٦٣), ٦٥.

وفي عصرنا الراهن، نجد الشاعر المغربي عبد الصمد الصغير، كتب ملحمته الرائعة التي سميت (لاميّة الغضب) وعنونها بـــ متى ينهض مِنْ أنقاضِنا البطل " وهي ردّ فعل ضد سياسة التطبيع مع الكيان الصهيوني، بلغت ٩٦٥ بيتاً وما زال يشتغل عليها، وقد عُدَّت أطول قصيدة في العصر الحديث.

هذه المحاولات في مصر والجزائر وتونس وسوريا والمغرب وغيرها من الدول، كانت الامتداد الطبيعي لشعر الملاحم العربيّة، ولعلَّ هناك سببًا آخر، أدّى إلى بروز هذا الحسّ الملحميّ في العصر الحديث، وهو الوعي بضرورة هذه الملاحم، فهي تعّزز تاريخ الأمة، وتحفظ ذاكرتها، وتخلّد هويتها، ويضاف إلى ذلك، ما شهده العصر من حروب وصراعات سياسية واجتماعية ودينية، جعلت الشاعر لا يستطيع التعبير عمّا يريد قوله في أبيات محدودة، فكانت (القصيدة النّصّ)، التي تمثّل قفزةً مهمةً في مسار الشعر العربي المعاصر، إذ مثّلت رؤيةً جديدةً في كتابة الشعر الذي كاد أن يُختصر في بيت أو بيتين أو ومضة، وهي من جهة أُخرى، محاولة لإعادة القصيدة العربيّة القديمة الطويلة لكن بشكل شعريّ مختلف من الناحية البنائية [١٦].

ويمكن أن نحصر أسباب العودة إلى هذا النوع من النظم بمجموعة من العناصر منها:

١-العنصر السياسيّ، بعدما كثرت الحروب، ونشوء الصراعات السياسية والعرقية والطائفية، وقيام الثورات التحرّريّة في مختلف أصقاع البلاد العربيّة، والفوضى والتهجير وسيادة الجهل والتخلّف.

٢-العنصر الفنّي، يتمثّل في محاولة ردم فجوة القطيعة التي حدثت بين الجمهور والشعر الحداثوي، بعدما أصبح الأخير يميل نحو التكثيف والاختزال.

ولهذه الأسباب وغيرها توافرت الحضانة المناسبة لعودة مثل هذا الشعر الملحمي، فيكفي أن تتوافر في حياة الشعب عوامل نظم الملاحم حتى يظهر، وليس من الضروري أن تفترض في الملحمة العصرية عنصراً ميثولوجياً، وأن تعرض فيها سذاجة الشعوب وتخلفها العقلي والحضري، فهذه العناصر فقدت مسوّغات وجودها في عصرنا.

المحور الثاني: طبيعة النَّصّ المدروُس للشاعر السوري عمر هزّاع

لا يختلف اثنان في أن ظروف الإنتاج لها تأثير كبير في نوعيته؛ ولأنَّ الأزمة تولِّد الهمّة،

١٦ خرقي, فضاء النص، نص الفضاء، دراسة نقدية في الشعر الجزائري المعاصر ,٩٦ .

فقد أُنتجت قصيدة/ ديوان... وسراجاً منيراً للشاعر السوري عمر هزّاع * في ظروف استثنائية تمثّلت في الهجمة الشرسة التي يتعرض لها الدين الإسلامي متمثّلاً بنبيه الكريم المصطفى ﷺ، فهذا العمل هو " ردٌّ عمليٌّ يحاول مبدعه أن يعيد إلى الأمّة روحها وهويتها وثوابتها فتنتصر لذاتها بانتصارها لنبيها فتحيي ذكره فيها، قولاً وفعلاً تاريخاً وأدباً " [١٧]، فجاء هذا الديوان/ القصيدة متناولاً سيرة المصطفى المطهّرة بهدف التعريف بها وبالنبي ﷺ وبصحبه وآل بيته وعصره ومن عاش فيه، وما حدث فيه لشخصهِ ولرسالتهِ، محاولاً مبدعها إلقاء الضوء على جوانب شخصية المصطفى ﷺ وعلى أخلاقهِ وكمال معانيها وعلى تفاصيل حياته، وجزئياتها الدقيقة ودروسها ودوافعها ونتائجها، ومقاربة كلّ هذا بواقع الأمّة الإسلامية الآن، وتنقيط حروفهِ بإلماحات نبويّة وحلول مقترحة لأزمات اعوجاج حياتنا من صميم هذه المسيرة المنيرة، من إشعاع الدين الإسلامي الصامد بصمود ثوابته ومتانة أركانه الراسخة، جمع بين تسامي روح الشعر الملحمي وتجليات العقل في نقل حقائق تاريخية ومفصلية في سيرة سيد المرسلين العطرة، فكان عملاً فريداً إذ " ركب الشاعر مركبًاً صعبًاً لا يتأتى إلاّ لملهم تجتمع فيه العقلية العلمية المنطقية والمعرفة التاريخية حدَّ التشرب، والشاعرية التي تستند إلى ملكة لغوية معجمية واسعة والمعرفة بالدراما وتقاناتها " [١٨].

وقد جاءت هذه القصيدة على شكل قصيدة عمودية واحدة، نظمت على بحر البسيط من بدايتها إلى نهايتها، وروييٌّ واحدٌ هو المقطع الصوتي (يْها) أو المقطع الصوتي (ـــُوها)، وكلاهما واحد في علم القوافي، مع التزام مقطع واحد وروييٍّ واحد في الفصل الشعري الواحد، للحفاظ على إيقاع الرتيم الشعري في ذهن المتلقي.

وقد نظمت على عدّة فصول مترابطة بمصاريع متجدّدة في بداية كلّ فصل شعريّ، بما يناسب محتواه، ومختلفة عن مصاريع الفصول الأُخرى، دون أن تتكرر في قافيتها لفظة واحدة بمعنى واحد على مدار ١٢٥٠ بيتاً شعرياً أو تزيد، في تشكيل شعري مرتب ومتعاقب زمنياً على وفق أحداث حياة المصطفى ﷺ، وليس مجرد قطفات من حياته وغزواته ومنعطفات مسيرته

١٧ هزّاع, عمر جلال الدين, وسراجاً منيراً، رؤية شعرية للسيرة النبوية, ط١ (المملكة العربيّة السعودية: النادي الأدبي في منطقة الباحة, ٢٠١٦), ٩.

١٨ هزّاع, ٧.

وملمّاتها، وممّا يلحظ على أدبيات هذه القصيدة، أنّه قد نُسِقَ منها أسطراً جاءت على شكل مونولوج داخلي أو حوار بين الشخوص أو لأنّه وقع في أبيات مدورة سُطِرتْ للحفاظ على وحدة الفكرة وعدم انفصالها بانفصال اللفظ المدور بسبب الوقف بين شطريّ البيت الواحد.

نقرأ له في سبيل المثال، وهو يصوّر الصراع الذاتي الذي اعتراه إبّان الشروع في هذا العمل، يقول[١٩]:

عُكَّازُ عُمريَ حُلمٌ قدْ هششتُ بهِ ... على قطيعِ عَذاباتي مَراعيها
ترعى - بِتيهيَ - تِيهَ الأمسِ في سأمٍ ... وتَقضمُ الغَدَ باستِجرارِ ماضِيها
عَلَيهِ نصفُ اتِّكاءِ الـ (عُمـ/ شِعر) هَلهَلَةٌ ... شروى دَراهِم لـذَّاتٍ تَلِهّيها

ويستمر يذكر تلك الصراعات الذاتية، إلى أن خرج منها بقوله:

بعدَ السَّلامِ، وباسمِ اللهِ أَبْدؤها، وبالصَّلاةِ على الهادي تتاليها.

الأمر الذي يجعل هذه القصيدة تبتعد عن كونها مجرد قصيدة شعرية تنتهي عند استعراض التقانات الشعرية، والمهارات الفنية للتفاخر بطولها وتشكيلاتها، وافتنان الشاعر بتنوّع تراكيبها وتخييلاتها وتصاويرها وبيانها وبديعها. ولا نبالغ في القول: إنَّ الشاعر له الفضل والسبق في اختراع بعض التكنيكات الخاصّة الجديدة كل الجدّة، واستخدامها أوّل مرّة في شعرهِ، لعلَّها لم تطرق قبلاً، نقرأ مثلاً، يقول[٢٠].

فسَلْ - إذا أسطعَتَ - أدراج الرِّياحِ : (لِكَم خلفَ المسيـ ....رة
جَدَّ السَّعيَ راجيها ؟!!)
والرَّاكبي المَدحَ بحراً

٢٠ هزّاع, ٤١.

* عمر جلال الدين هزاع، صيدلاني وأديب وشاعر من مواليد دير الزور ١٩٧٣م، له عدد من الدواوين الشعرية، ومئات القصائد المنشورة، تُرجمت أغلبها إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية، وحائز على عدد من الجوائز الدولية، توزع شعره في أغراض مختلفة، وانماز بالتقانات المبتكرة، وكانت مادة للنقد المقارن والدراسة الأدبية على مستوى تطوير القصيدة العربيّة على أُسس أصيلة ومتينة، تربطها بماضيها المجيد وحاضرها المتجدد، وهو معروف كأحد الشعراء المعاصرين في ديوان شعراء الشام وشعراء الفرات ودير الزور، وفي ديوان معجم البابطين للشعراء المعاصرين (الطبعة الثالثة من المجلد الثامن) وفي معظم الهيئات والروابط التي تهتم بتسجيل الشعراء وتدوين أعمالهم، وله اهتمامات بتعلم الشعر في العروض الرقمي والنقد الأدبي، وله مشاركات في تحكيم المسابقات المحلية والإقليمية التابعة لروابط أدبية ومنتديات فكرية ولغوية معروفة.

عن سَفائِنهــم في خوضِ لُجّتِهِ
(أيّــانَ مُرسيها ؟!)

إذ نلحظ تقانة الإضمار في البيت (فسل إذا اسطعتَ) فــ تركيبة < أدراج الرياح تعني دائماً الخسارة > كناية عن الفشل، وقد عبَّر عنها بالاستفهام الاستنكاري عن مدى المسافة القصيرة التي ضاعت أدراج الرياح، والتي قطعها المهرولون وراء ضياء السيرة ليصلوها بلا طائل.

ونجد في البيت أيضاً تِقانة الرسم بالكلمات، أو التعبير الشكلي في مدّ كلمة المسيـ ...رة للتعبير عن إعجازها لمن يحاول اللحاق بها وهي تِقانة شكلية بحتة لها عدّة أشكال في الديوان.

وقد عمل الشاعر على ربط أحداث هذه السيرة العطرة بمراجعهِ الموثّقة من القرآن الكريم وكتب الحديث ومراجع السيرة والتاريخ بهوامش متّسقة ومسلسلة ومصاحبتها بشرحٍ مستفيضٍ في الهامش للضرورة التي رآها مبدع النص، إذ يقول: " لما وجدتُ ضرورة لتفسير معناه من ألفاظ وأمثال وضرائر شعرية، وغير ذلك بالاعتماد على أُمّهات المعاجم العربيّة، وكتب اللُّغة والبيان ذات الصلة، لتسهيل فهم القارئ وعدم اضطراره للبحث عما قد يشقّ عليه " [٢١].

وعلى الرغم من كونها قصيدة تقدّم اللُّغة الجزلة البسيطة، إلاّ أنّها لا تخلو من بعض اللفظ المعجمي، الذي هو على نحو ما يرى مبدعها، من ضرورة بنائها لمناسبة الحقبة الزمنية، أو للتناص مع عقول قول شخوصها، ومع شكلها العصري ومقارنتها الواقعية، فهي إحدى خزائن التشكيل الشعريّ بكلِّ ما عرفه الشعر العربيّ من أساليب بناء وتِقانات مكرّرة ومبتكرة، وهي خير مثال على الملاحم العصرية التي عبَّر فيها مبدعها بأخيلته ورؤاه وتحليله عن روح عصره، فجمع بذلك بين الرصانة والحداثة.

وقد أجملت الدكتورة إيمان الكيلاني في تقديمها لهذه المجموعة، ما يمكن أن تقدّمه هذه الملحمة العصرية من أهداف جليلة تتمثل في [٢٢]:

١-تسهيل حفظ سيرة رسول الله ﷺ شعراً، ولاسيّما أنها جاءت كاملة على البحر والروي نفسيهما وهذا جديدٌ كلّ الجدّة في هذا النوع من الشعر.

٢١ محرم, ديوان مجد الإسلام أو الإلياذة الإسلامية ,١٣ .
٢٢ هزّاع, وسراجاً منيراً، رؤية شعرية للسيرة النبوية ,٨ .

٢-إثراء معجم القارئ بألفاظ عربيّة عريقة عميقة، وتسهل عليه بشرحها وتبيان معانيها، ممّا يقرّب بين العربيّة وأبنائها ومتعلّميها لوجودها في سياقات استعمالية.

٣-إمتاع المتلقّي بالانزياحات الجمالية والأخيلة، ممّا يرتقي بذائقته.

٤-إنّه يؤسّس لصنف جديد في الأدب العربيّ، ويفتح بابًا أمام الطامحين من المبدعين لإكماله بملاحم تاريخية تدرس ما بعد عصر النبوة، مما يسهل على القارئ استكناه أبرز الأحداث المفصلية في تاريخ الأمة، وقد تمتد إلى العصر الحديث وهو ما يفتقر إليه الجيل الجديد.

المحور الثالث: إضاءات ما حول النَّص (النص الموازي)

النص الموازي، على نحو ما هو متعارف عليه، هو تلك العتبات النصّية التي ترتبط مع المتن بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ويشمل كلّ ما ورد محيطاً بالكتاب، من غلاف، ومؤلف وعنوان، وإهداء واقتباسات وهوامش ومقدمات، وغير ذلك مما أشار إليه الناقد الفرنسي جيرار جينيت في كتابه الموسوم بـ (عتبات)[٢٣] ، فهو " النصوص المجاورة التي ترافق النص في شكل عتبات، وملحقات قد تكون داخلية أو خارجية، ولها عدد من الوظائف الجمالية والدلالية "[٢٤].

وقد ضمّت قصيدة .. وسراجاً منيراً، التي - إن جاز لي تسميتها - بـ (المحمّديّة) بين دفتيها عدداً من العتبات تمثلت بـ العنوان، والإهداء، والتقديم، والمقدمة، والتمهيد، والتوطئة، وسنتكلم على وظيفة كل عتبة وأهميتها على النحو الآتي:

١ - سيميائية العنوان:

قصيدة ديوان.. وسراجاً منيراً، هي أو هو، بحث شعري في السّيرة النبوية المُطهّرة جاء على شكل قصيدة عمودية واحدة، جمعت من المحاسن الشيء الكثير على نحو ما سيأتي التفصيل فيه لاحقاً، ولنبدأ مع العنوان، المثير القرائي الأوّل، الذي يحمل دلالات رمزية وفنية خالصة، توجز الرؤية العامّة للمبدع، ويمثّل الثريا التي تحتلّ بُعداً مكانياً مرتفعاً يمتزج بمركزية الإشعاع على النصّ، على نحو ما وصفه جاك دريدا. فقد جاء على المستوى التركيبي،اسم حال معطوف على آية سبقته، فيها تأنيس للنبي الكريم ﷺ، وللمؤمنين،وتكريم

٢٣ جينيت ,جيرار, عتبات، من النص إلى المناص, ترجمة. عبد الحق بلعابد, ط١ (الجزائر: دار الاختلاف), ١٤٢٩.

٢٤ بنيس, محمّد, الشعر العربي الحديث بنياته وإبداعاتها (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر), ٢٠٠١.

لجمعهـــم بقولـه تعـالى: ﴿ يـا أَيُّهَـا النَّبِـيُّ إِنَّـا أَرْسَـلْناكَ شـاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيـرًا ❋ وَداعِيًـا إِلَى اللهِّ بِإِذْنِـهِ وَسِراجًـا مُنِيرًا ﴾. [الأحـزاب ٤٥-٤٦]

فالسراج هنـا، استعارة للنـور الـذي يتضمنـه شرعـه، ووصـف بالإنـارة لأنَّ مـن السراج مـا لا يضيء، إذا قـلَّ زيتـه أو وقـت فتيلـه، وقـد اختـار المبدع هـذا العنـوان، عـلى نحـو مـا صرَّح، مـن بـين عـدد مـن العنوانـات الأُخـرى، يقـول: " لأني وجدتُ فيـه مـا أبحـث مـن شـمولية المعنـى لـكلِّ زمان وسيطرة حقيقيته الواسعة على كلِّ مكان، فسبحان من جعل الشمس سراجاً والقمر نوراً "[٢٥].

وقـد تنـاص هـذا العنـوان مـع عـدد مـن الآيـات الأُخـرى ، منهـا قولـه تعـالى: ﷻ ﴿ وَجَعَـلَ الْقَمَـرَ فِيهِـنَّ نُـورًا وَجَعَـلَ الشَّـمْسَ سِرَاجًا ﴾ [نـوح: ٦١]. وقولـه تعـالى: ﷻ ﴿ تَبَـارَكَ الَّـذِي جَعَـلَ فِي السَّـمَاءِ بُرُوجًـا وَجَعَـلَ فِيهَـا سِرَاجًـا وَقَمَـرًا مُّنِيرًا ﴾ [الفرقـان ١٦] فكـما يُعـدُّ القمـر مصـدراً للنـور، والشـمس مصـدراً للضـوء، وهـذه الحقائـق ثابتـة في كلِّ زمـان ومـكان، فكذلـك شريعـة محمّـد ﷺ، فهـي حقيقـة راسـخة دامغـة لا تتغير ولا تـزول عـلى مـرِّ العصـور، نسـتوحي منهـا المبـادئ الإنسـانية والقيـم الرفيعـة.

٢- الإهداء:

يُعدُّ الإهداء علامةً لغويةً تجمع بين الكاتب والقارئ، وهو يُعطي انطباعات مهمة، ويكشف عن بعض دلالات نفس المبدع ونصّه، وقد جاء إهداء هذا العنوان في المقام الأوّل إلى ملهمهِ الأوّل وصاحبها الأوّل، والقائد الأوّل " إلى مشكاة مصابيح الأخلاق وذروة التضحية والعطاء والفداء،محمّد بن عبد الله ﷺ، أُهدي عملي المتواضع هذا، ومحاولتي الضعيفة هذه محبةً وعرفاناً،وامتناناً لأعظم شخصية في تاريخ البشرية راجياً قبول المولى - جلَّ وعلا - وتوفيقه "[٢٦].

ثـم يُتبـع هـذا الإهـداء ، بإهـداء آخـر، إلى والديـه - رحمهـما الله - راجيـاً مـن الله - عـزَّ وجـلَّ - أن يجمعـه بهـما تحـت ظـل عرشـه الكريـم يـوم لا ظـلَّ إلاَ ظلـه.

وفي المقـام الثالـث، يوُجّـه الإهـداء، إلى أرواح شـهداء المنهـج المحمّـدي الحنيـف، ممّـن قدّمـوا أرواحهـم للدفـاع عـن جوهـر الديـن وخاتـم الأديـان عـن كتـاب الله الفرقـان، ومـن دافـع عـن

٢٥ هزّاع, وسراجاً منيراً، رؤية شعرية للسيرة النبوية ,١٤ .
٢٦ هزّاع, ٥.

النبي الهاشميّ العدنانيّ.

تكشف ثيمة الإهداء، عن سمو نفس المبدع وغايته النبيلة والسامية في كتابة هذا الديوان، وإنّه لم يبغِ به أيَّ غاية سوى التقرّب به إلى الله عزَّ وجلَّ، ونبيه المصطفى ﷺ.

٣- التقديم: التقديم، نصٌّ خاصٌّ يكتبه غير المؤلف عن الكتاب، ويوضع بين يديه غالباً، يُراد به التعريف المجمل بالكتاب المقدَّم له والإشارة إلى مبلغ إضافته العلمية لموضوعه وموضع الإجادة فيه، والمآخذ عليه، ويسمّى تصديراً أيضاً.

كتب تقديم قصيدة/ ديوان، ... وسراجاً منيراً الأستاذة الدكتورة إيمان محمّد أمين خضير الكيلاني الحسيني، أستاذة اللسانيات الحديثة والأسلوبية في الجامعة الهاشمية، ولعلّها أوّل مَنْ أشارت إلى اقتراب هذا العمل من أدب الملاحم، تقول: " إنَّ هذا الإبداع هو جنس أدبيّ فنّيّ غير مسبوق في الأدب العربيّ، تولدّ ناضجاً من فكر مؤرفه وربّما في الأدب العالميّ الذي عرف الملاحم الشعرية، كما في الإلياذة والأوديسة المنسوبتين لهوميروس، لكنه مزج فيها التاريخ بكثير من الأساطير والخرافات عبر عصور متتالية... في حين أن ما يميّز هذه الملحمة أنّها تأريخ حقيقي لشخصية حقيقية ولأحداث حقيقية بكلّ تفاصيلها، مؤلفها واحد يصطبغ بروحه نصاً متجانساً محكم النسيج "[٢٧].

ونجد في التقديم رؤى نقدية مائزة، زيادةً على توضيح بعض ما استغلق في هذا العمل الفنيّ فكان التقديم يوازي القصيدة من حيث الأهمّية والمستوى.

٤- المقدّمة:

وتضمّنت، لمحة ما قبل القراءة، وفيها تعريف سريع لجنس هذا الديوان، ووقت تأليفه،وهُويّة المؤلف، ثمّ قسّمت على مدخلين، المدخل الأوليّ، كان بطاقة تعريف الديوان،كشف فيه المؤلف عن طبيعة هذا الديوان وبعض خصائصه الفنية ولم يترك صغيرة ولا كبيرة إلاّ وتطرّق إليها بروح ناقدة متمكنة من سبر أغوار النصوص.

ثم درس في المدخل الثانوي الذي سمّاه بـ (بين يدي الغاية والعنوان) موضحاً جزءاً ممّا ضمّه هذا الديوان من مبنى ومعنى قاصداً ذلك " ليتمعّن القارئ الكريم في ما ذكرت،

٢٧ هزّاع، ٧.

ولينشـط ذهنـه بالبحـث في أبياتهـا عـن بقيـة مـا أسررتُ ذكـره وطويـتُ نـشره "[٢٨].

٥- مفاتيح الحواريّات:

وهي مجموعة إشارات ورموز ضمّتها القصيدة، تنوّعت أشكالها وتعدّدت، وقد وضّحها الشاعر في عنوان مستقل بذاته، ليسهل على القارئ بعض مما يستغلق عليه، وهي على النحو الآتي[٢٩]:

الرمز	التفاصـــيل
>	يشير إلى قول الشعر ضمن حوار داخلي مع الشاعر
<	يشير إلى قول الشاعر ضمن حوار داخلي مع الشعر
◊	يشير إلى آية كريمة أو وحي (جبريل عليه السلام)
O	حديث نبوي أو قول للرسول ﷺ
❋	كلام الصحابة
•	كلام المشركين
◊	نص معاهدة

فكانت هذه الإشارات دوال مهمة لفتح ما استغلق على القارئ في المتن.

٦- التمهيـد: وقـد وضّـح فيـه شـعراً، وقـت كتابـة الديـوان، ومـا تعـاوره مـن ظـروف نفسـيّة وزمانيّـة ومكانيّـة، نقـرأ لـه[٣٠]:

قَذائِـفُ المدفعِ الرَّشـاش قد نسـفتْ مخازن الحُلمِ، فانهدَّتْ مَلاجيها
والجـوُّ يَزكـمُ بالبـارودِ قافِيتـي والموتُ - في فُوهَةِ القنّاصِ - ذافيها

فالله يَعْلَمُ أنّي ما سعيتُ سِوى

٢٨ هزّاع، ١٣.
٢٩ هزّاع، ١٥.
٣٠ هزّاع، ١٧-١٨.

نحو المنارةِ

أرنو

في سَواعيها

فهذا الديوان أو هذه القصيدة، نظم في أثناء الحرب السورية، حيث كان الشاعر في نزوح مؤقت ما بين مسقط رأسه مدينة دير الزور، فالحسكة والقامشلي، ودمشق، وجرمانة، بين أزيز الرصاص ودويّ المدافع وروائح الموت والبارود عام ٢٠١٥، وهذا هو النظم الأوليّ، ثمّ تمّت له المراجعة الأُخرى، وهي النهائية بعد أن استقر في قطر/ الدوحة عام ٢٠١٦.

٧- التوطئة:

آخر العتبات النصيّة التي تطالعنا، حيث نجد فيها، إرهاصات فكرة الديوان ودوافعه، والصراع الذاتي - الذي اعتراه إبّان الشروع في الكتابة، فيطالعنا حوار بديع جرى بين الذات الشاعرة والشعر يقول[٣١]:

أصمَى صِيامَ القَناني مَن وقانيها وَصَوتُ صَمْتيَ أَسقى مَن سَقانيها

> (أأنت أنت ؟)

< (نعم)

> (أثبتْ هواك؛ إذن)

> (هَبْ أَنّني هِبتُها)

> (فاثبتْ، وَهَبنيها، قُلْ)

< قلتُ: (لا، أبَدًا)

> (لا بُدَّ) - قال - (فَثُبْ)

< (أيهاتَ) قلتُ

> فقال: (إلاهُ تَثبيها)

ويحي، وويح حِوارَ الشّعر لي ، دمعي هاها - بِحارنَة ما - دَعُّ حاريها

٣١ هزّاع,١٩-٢٠.

> (قُمْ؛ ناجِ رَبَّكَ) - صاح الشّعرُ - مُبتهلاً
< وناجت الرُّوحُ (أخلِصْها لباريها) .

إذ نلحظ الصراع الذاتي، ممثّلاً بمجموعة من الكنايات التي ولّدها المبدع من مثل، (صوت صمتي، صياح الشعر، نباح الروح، سفسف القلق الفتاك، وشجن النشيج، ورعدة الرعب، وهاجس من خفي الشوق)، كلُّ هذه الأزمات الداخلية، تشدّ بيده وتشجّعه على كتابة هذه القصيدة في وقت حرج من تاريخ الأمّة الإسلامية، التي أصبحت بأمسّ الحاجة للتذكير بماضيها العريق، وبنبيها الكريم ﷺ.

وتأسيسًا على ما سبق، نلحظ الوشائج الدلالية التي ربطت عتبات النّصّ الموازي، وكلّها تشير إلى الغاية التي يأملها المبدع علّها تكون بتوفيقه ومنّتهِ ورضاه دليلاً إلى مسيرة أهم شخصية عرفتها البشرية، ومعاني الرسالة المحمّدية ومقاصدها وماضيها من بطولات وتضحيات زيادةً على المعاني الفريدة، والمقاصد النبيلة التي تضمنتها أقواله ﷺ، وأفعاله، والتي هي منهج حياة وخارطة طريق نجاة.

المحور الرابع: خصائص البناء الملحمي

ربَّما من الآراء التي أجمع عليها معظم الباحثين، أن العقد الحديث ليس مناسباً لولادة أو ترعرع هذا اللون من النظم، فقد اختفى بتأثير الحداثة حتى في الأدب الغربي، متناسين أنَّ لكلّ عصر ملحمته، فإذا كانت الملحمة قد انتهت شكلاً في الخطاب الشعري المعاصر، " فإنَّ النزعة الملحمية لا تزال مستمرّة، بوصفها محتوًى فنياً لصيقاً بالأجناس الأدبّية المعاصرة، يحتضن الإنسان المعاصر مواكباً همومه وتطلعاته.. وباحثاً عن حلول لأزماته، ومشاكله اليومية، ويرتدي في كلّ حين ملامح مستحدثة تواكب دينامية الحياة المعاصرة ومختلف تطوراتها "[٣٢].

وقد تختلف الملحمة المعاصرة في بعض العناصر عن الملاحم الكلاسيكية لكنّها تشترك معها في الكثير من هذه الخصائص، وانمازت الملحمة بوصفها جنسًا أدبًّيا بسمات فنيّة وموضوعيّة، أطال الحديث عنها أرسطو في كتابه (فن الشعر) فهو يرى أنّ الملحمة تحاكي

٣٢ خفاجي, دراسات في الأدب المعاصر ,٤١٥ .

الفعل بالرواية عنه، وأنهّا تجري على طريقة القصص، وهو ينسبها إلى الشعر الجدّي الرصين والجزل والفخم، وهي غير محدودة في الزمان، ولا في طولها ولا في مكانها، فما يميز الملحمة، هو تمثلها للتاريخ القومي وللروح القومية وحفاظها على المضمون القومي الجوهري وعلى نغمة قومية تردّدها من أوّلها إلى آخرها، فالكلية والشمولية من السمات المهمة للملحمة، ففيها يؤدّي الوعي الفردي في الواحد وفي الكلّ "[٣٣].

تأسيساً على ما سبق، وجدنا أن هناك عدداً من الخصائص الفنية الملحمية وجدت في مدونة عمر هزّاع سنحاول الوقوف عندها.

١ - الوحدة التأليفيّة:

تقوم هذه القصيدة على حبكة رئيسة، تنبني على الشخصية المحورية التي نظمت هذه القصيدة من أجلها، وهي شخصية النبي الكريم المصطفى ﷺ حيث الطفل اليتيم، والشاب الأمين، والزوج الوفي، والمصطفى المختار، والقائد السياسيّ المحّنك، والفارس المجاهد المجرّب، ومحبوب الأمّة الذي لا يُعّوض، وتعتمد على التسلسل المنطقي للأحداث التاريخية عبر الزمن، حيث تتنامى الأحداث وتتعاقب لتبلغ ذروة التطوّر والصراع ثمّ يأتي الترتيب والتعقيب للأحداث، من أجل الربط، وقد رسم مبدع هذه القصيدة بناءً معمارياً لملحمته مغايراً تمامًا لما عهدناه.

فقد قسّم ملحمته هذه على أقباس سبعة، وضع في كلّ قبس مرحلة تاريخية من مراحل حياة المصطفى ﷺ، وما يرافقها من أحداث، قد تكون أحداثاً تسير باتجاه واحد، وقد يتشعّب الحدث ويتعقّد فيخرج من القبس، إشعاع، وهذا ما بدأه الشاعر مع القبس الخامس تحديداً، الذي تنوّعت فيه الأحداث الإسلامية وتعقدت مراحل الدعوة، فأخرج منه ثمانية إشعاعات، بحسب أهمية الحدث وتشعّبه.

ولمّا وصلت الأحداث قمّة الصّراع السياسي والفكري، في القبس السابع والأخير تحديداً، أخرج منه ثلاثة إشعاعات، ثمّ قسم كلّ إشعاع إلى ومضة معينة، حدد فيها حدثاً تاماً، وحتى

٣٣ القنائي, أبي بشر متي بن يونس, كتاب أرسطو طاليس في الشعر, تحقيق. شكري محمّد عياد (القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر, ١٩٦٧), ١٤٠, ١٣٨, ١٣٦, ١٣٤, ٤٨, ٤٦, ٤٠.

يستطيع الإلمام بكلِّ مراحل حياة المصطفى وما رافقها من أحداث عظيمة ومهمّة في التاريخ الإسلامي، وعلى النحو الآتي:

صور القبس الأوّل: الحالة العامّة للناس، ولاسيّما أهل مكة إبّان ولادة المصطفى ﷺ، وأحداث طفولته ونشأته حتى وفاة والدته وجده، وانتقاله إلى كنف عمه أبي طالب ﷺ، فضلاً عن نسبه الشريف ومعجزات المرحلة، يقول فيها[٣٤]:

تنازعَ النّاسُ دنياهم وما فيها ... وَراوَدتهُم فزادتْ غيَّهُم تِيها
واخولقَ الضَّعفُ حتّى لم يَعدْ سَببًا ... لوصَمهِ العار أنَّ الخرقَ يُبليها
قبائل العرب انشقتْ إلى فِرقٍ ... أعداؤها شركاءَ في تشرِّيهَا
الفرسُ والرَّومُ والأحباشُ تسلِبُها ... قرارها، وانِشقاق الرأي يُشقيها

شعبٌ تخيرهُ المَولى ليُكرمَهُ ... ومـا أرادَ لـهُ في الخلقِ تسـفيها
فاختصَّهُ بنبيٍّ ليسَ يُنْكَرَهُ ... أسـافِلُ النّاسِ، فضلاً عن أعاليها
من خير صُلب لرَحمٍ ريقَ مَجتدُهُ ... وخيرُ بطـنٍ لِفخذٍ مـن سَراريها
فمن قريشَ إلى عَدنان نسبَتُهُ ... إلى الذبيـحِ ابنِـمِ إبراهيم يُحصيها

وصور في القبس الثاني، المدة التي عاشها ﷺ في كنف عمّه، وسفره معه إلى الشام ونبوءةِ بحيرا، واشتغاله ﷺ بالرعي والتجارة، وزواجه من السيدة خديجة الكبرى، وعامّة حياته قبل النبوّة مع تفصيل الوقائع والمعجزات، يقول فيها[٣٥]:

بكَ الغَمامةُ سَحَّتْ من أعاليها ... فاخَضبَ الماءُ ناديها وبَاديها
مبارك - أنتَ - في قَعساءِ ذروَتِها ... ووجهُ بُشراكَ سعدٌ في تهانيها
عَدوًّا أعادُوكَ من بُصرى على وجلٍ ... لَمَّا بحيرا رأى الإعجازَ يحريها

ويستمر في ذكر خصال النبي محمّد ﷺ وصفاته التي اتّسم بها قبل النبوة ويختمها بقوله[٣٦]:

٣٤ هزّاع, وسراجاً منيراً، رؤية شعرية للسيرة النبوية ,٢٤-٢٥ .
٣٥ هزّاع, ٢٨.
٣٦ هزّاع, ٢٩.

تلـكَ الشَّمائلُ مــن قبـــل النّبوّة ضاءت كالمنــارةِ في ظلمـات داجيها.

وأمـا القبـس الثالـث، فقـد خصّـهُ لمرحلـة نـزول الوحـي عـلى النبـي الأكـرم ﷺ عنـد خلوتـه في غـار حـراء، وإسـلام خديجـة، ونبـوءة ورقـة بـن نوفـل، يقـول[٣٧]:

مَــرارةٌ واحتِراراتٌ تَحاميهـــــا وفي حِراءَ حرارٌ من تناميها

والليلُ يلبسُ جلبــاب السُّكونِ وبالتأمُّل انغمست أفكارُ ساميها

وقد أُحيطَ بهِ مِن كلَ زاويةٍ في غفلةٍ عَنهُ ظَلَّ الحَظُّ يزويها

لأربعينَ وقد حطَّت كأجنحةٍ رفَّتْ على قدرٍ والوعدُ يكميها

O (ما ذاك ؟؟)

يسأل - عن جبريل - رِعدتَهُ

فما تُجيبُ

وما - عن ذاك - يُدريها؟!

واختـصَّ القبـس الرابـع بـــ الدعـوة السريـة التـي اسـتمرت ثـلاث سـنوات، وهـي جـزء مـن المرحلـة المكيـة التـي دامـت ثـلاث عـشرة سـنة تقريبـاً، وفي هـذا القبـس تحديـداً، يحـاول المبـدع أن يقـارب ويربـط مـا بـين المـاضي والحـاضر، ويوضّـح كيـف أن القلـة القليلـة المسـتضعفة اسـتطاعت أن تقـف وقفـة حـقّ مـع الرسـول الكريـم عـلى الرغـم مـن التضييـق والتعسّـف الـذي مارسـته السـلطة في مجتمـع مكـة آنـذاك، لكـن للأسـف عـاد الديـن غريبـاً يقـول[٣٨]:

٣٧ هزّاع, ٣١.
٣٨ هزّاع, ٣٥.

السَّابقونَ إلى الإسلامِ مُبتدأ والأمّةُ الخَبرُ اجتُزَّتْ خوافيها
أعزَّها اللهُ، لكن بعدَما انحَرفت عن الصَّوابِ أذلّتها مناهيها
دانتْ لها الأممُ العطشى نبع تُقى سَقى الحضاراتِ - إيماناً - تندّيها
طلائعُ المنهجِ الوَضَّاءِ كوكبةٌ ما بالمجرَّةِ أضواءٌ تماهَيها
صُحبٌ هم النُّجُم اللّمّاعةُ اجتَمَعَتْ حَول الرسالةِ بالأرواحِ تفديها
أعطت مَحبّتُها للمجدِ مُجتَمعاً جَمًّا؛ تُجدِّدُهُ حُبّاً مَعاطيها

بأمــةٍ كلُّ فــردٍ، منهم اصطنعَ الدين المتين
مُتُونـــاً هـــم فقاريهـــــا

وأمّا القبس الخامس، فقد خصّص لمرحلة الدعوة جهراً، التي امتدت عشر سنوات تقريباً وقد قسمها على مرحلتين: المرحلة الأولى، حصرها داخل مكة وتمتدّ من السنة الرابعة من النبوة حتى العاشرة، والمرحلة الثانية، فقد كانت خارج مكة وهي قرابة ثلاث سنوات، وتمتدّ من أواخر السنة العاشرة وحتى هجرته ﷺ، وقد أخرج من هذا القبس ثمانية إشعاعات، فأما الإشعاع الأوّل، فقد كان داخل مكة، عندما أوحى جبريل ﷺ إلى النبي المصطفى ﷺ بالإجهار بالدعوة، يقول[٣٩]:

إشـــارةٌ جَهجَـةَ التّنزيلُ يدويهـــــا
بشـــــارةً، جَلَّ بالتّنزيـــه مُهديهـــا
(أنذِرْ عَشيرتَكَ
الآيات تُعلِنُها صريحةً ، سَفيرُ الوحي يؤتيهـــا
أُمُّ القرى انصَدعَتْ، واللُّحمـــةُ انقطعتْ
والثـــــورةُ اندَلعـــتْ، تُذكـــي تقاليهـــا
تقنَّعَ الذّئبُ وجـــه الشَّاةِ والتبســـــتْ

٣٩ هزّاع, ٣٨-٣٩.

جِلـــــدَ المَحبَّـــةِ والزُّلفـــى حِرابيهـــــــا

وخصَّ الإشعاع الثاني بـــ مرحلة (الهجرة للحبشة)، وهي هجرتان، ما لبثت أولاهما أن رجعت لمكة لما علمت بأنباء السجدة التي وقعت عند الكعبة، وأن مكّة قد أعلنت إسلامها، وحينما تبدت لها حقيقة الوضع لاذت بالفرار مجدّداً في هجرة أكبر من الأولى بعد أن تعرّضت للمعاداة والتنكيل والمنع، يقول[٤٠]:

فسادُ أفكارها غطَّى بواديها فَسادَ طغيانُها كُفراً بواديها
والتذَّ فيها الأذى أبناء جِلدَتِها فامتطَّ مِنهُم جُلُوداً في مَياطيها
أمرُ النبيّ بأمرِ اللهِ مُتَّصلٌ والمُنزلاتُ هُدىً تَحفو مُطيعيها

وإذ يُلقَّي من التنزيـــلِ مُعلنـــــةً
عن سورة الزّمـــرِ، انشقتْ معانيها
◊ (حمَّ الرَّحيلُ - وأرض اللهِ واسعةٌ - فيمّمُوا الوجه شطراً من نجاشيها

وكان الإشعاع الثالث عن مقاطعة قريش، والآثار النفسية التي تركتها على المسلمين يقول[٤١]:

على بني هاشم شنّوا مقاطعةً اوباشُها تتغإلى مُستغلّيها
شُؤبُوب دمعٍ صُراخَ الطِّفلِ تقدحُهُ مجاعةٌ، وحصيرُ الصّبرِ يبكيها

وخصَّ الإشعاع الرابع، في عام الحزن، وهو العام الذي توفي فيه عمّ النبي ﷺ أبو طالب رضي الله عنه وزوجته السيدة خديجة(رضوان الله تعالى عليها)، يقول[٤٢]:

٤٠ هزّاع,٤٣.
٤١ هزّاع,٤٩.
٤٢ هزّاع,٥٣.

فما يكادُ يُسجي عَمّهُ التحقَتْ بهِ خديجةُ، في مِيقات جابيها
خمس وعشرين من عطفٍ بمُنعطفٍ تَخطَّفتها المنايا في تجنّيها

○ (قد آمنتْ - حين كان النّاسُ يَكُفرُ - بي، وصدَّقتْ عِندما صَدَّتْ أَهاليها)

وفي هذا العام - عام الحزن - اشتدت عداوة قريش للرسول ﷺ وأصحابه، فخرج يدعو أهل الطائف فلقي منهم أشدّ ممّا لقي من قومه.

وكان الإشعاع الخامس، مخصّصاً للدعوة خارج مكة[٤٣]

- مُحمّد مَعقِدُ الإصرارِ، سِيرتُـــهُ نُور السراجِ إذا احتمَّتْ أماسِيها

.....

فما استجابَ لهُ في ذاكَ أغلبُها خلا قليلٌ فرادى مِن غَواديها
للهِ درُّ قلوبٍ أَحَببتْ فحَبَتْ ظلَّتْ غَيارى إذْ انفضّتْ بواقيها

وأما الإشعاع السادس، فكان حول رحلة الإسراء والمعراج[٤٤].

مؤيَّداً، عبرَ الآفـاق يطويهـــا ليلاً بإعجازِ مســـراهُ يُقفّيها

جبريلُ يهتفُ - من فوقِ البُراق - له

◊ (معاً - إلى المسجد الأقصى - سَنَمطيها، نقِيلة النُّورِ في سِرِّ العبور دُجى؛
لله مُعجزةُ الإسراء تعزيها)

والإشعاع السابع، فقد حمل عنوان (العقبتان، والسفارات بينهما)، يروي فيها شعراً.

قصة بيعة العقبة الأولى عند منى بمكة، وقصة بيعة العقبة الثانية، يقول[٤٥]:

سفينةٌ غَلَـب التَّيـــار ساريهـــا شِراعُها الرُّشدُ، والإيمـــانُ داريها

.....

.....

فـازداد فيها عَديـــــدُ المُسلميـــن

٤٣ هزّاع, ٥٦.
٤٤ هزّاع, ٥٨.
٤٥ هزّاع, ٥٨.

إذ النّبيّ بالجمرةِ الأُولى يُلاقيهـــــا

وأمّـا إشـعاعات القبـس الخامـس، وهـو الثامـن، فقـد خصّـه بـــ (طلائـع الهجـرة) وهـي المرحلـة التـي أذن فيهـا الرسـول s لأصحابـه بالهجـرة إلى يثـرب بعـد أن اطمـأنَ إلى أنّهـا باتـت عاصمـة الإسـلام ليخلّصهـم مـن أذى قريـش وملاحقتهـا للمسـتجمعين منهـم في مكـة، يقـول[٤٦]:

إمّا انتهجتُم طريق الرُّشدِ فامشُوها وإن دُعيتُم إلى عَدوٍ بها أعدُوها
فصحبُهُ قبلكُم ضَحُّوا بما مَلَكوا من أجلِ هِجرتِهم، لَمَّا ترجّوها
كواكب نِيّراتٌ بالهُدى لطمتْ خدَّ الظّلامِ بلألاءٍ لِتحذُوها

◊ فجاءه الأمر:

(أن يسـعى لِهجرتـه، ولا يبيـتَ، فمـن عـادُوهُ كادُوهـا، وأنَّهـم حَشَّـدوا فِتيانهـم وعـلى تفـرُّق الـدم، في الأعـراب، حَتُّوهـا).

– والقبـس السـادس في هـذه المنظومـة فقـد عـرض فيـه المبـدع هجـرة الرسـول الكريـم ﷺ إلى يثـرب، إذ يقـول[٤٧]:

دارُ الحِمى، فِتنةً، باللّيلِ حاطوها فالويلُ للفتيةِ الحمقى استشاطُوها
ما ظنَّ واحِدُهُم يستطيعَ فعلتَهُ إلاّ وكان - بسوءِ الظنِّ - مَعتُوها
أيأسرون ضياءَ الشّمسِ في شمُعٍ؟! وَمِلْحَناجرِ نفخاتٍ! ليُفنُوها؟!

ويتكلّم عن بطولات سيّدها وحادي انتصاراتها الإمام علي بن أبي طالب ﷺ، عندما نام على فراش الرسول ﷺ ليفتديه بنفسه.

وفي السَّريرِ عَليٌّ، ما يَظُنُّ - إذا ما يُمكرُ الله - قد يُؤذيهِ مُؤذوها

القبـس السـابع والأخـير في هـذا البنـاء المعـماري، قسّـم عـلى مراحـلٍ نظـراً لتشـعب الأحـداث

٤٦ هزّاع, ٦٠.
٤٧ هزّاع, ٦٢-٦٣.

وتناميها وامتدادها، وحتى لا يترك شيئاً إلاّ ويشير إليه في هذا القبس، وقد قسم على ثلاث مراحل، المرحلة المدنية مثلت الإشعاع الأوّل، وقد أخرج من الإشعاع ثلاث عشرة ومضة، وعلى النحو الآتي:

١-الومضة الأولى: بناء المجتمع الجديد.

٢-الومضة الثانية: المؤاخاة بين المسلمين.

٣-الومضة الثالثة: معاهدة تحالف المسلمين.

٤-الومضة الرابعة: المعاهدة مع اليهود.

٥-الومضة الخامسة: بدايات الكفاح الدامي.

٦-الومضة السادسة: غزوة بدر.

٧-الومضة السابعة: المرحلة بين بدر وأُحد.

٨-الومضة الثامنة: غزوة أُحد.

٩-الومضة التاسعة: المرحلة بين أُحد والأحزاب.

١٠-الومضة العاشرة: غزوة الخندق (الأحزاب).

١١-الومضة الحادية عشرة: غزوة بني قريظة.

١٢-الومضة الثانية عشرة: المرحلة بين غزوة بني قريظة وصلح الحديبية.

١٣-الومضة الثالثة عشرة: صلح الحديبية.

وقد سمّى هذه المرحلة بـــ (مرحلة الفتن).

وأمّا الإشعاع الثاني، فقد خصّصه لمرحلة الهدنة، ما بين صلح الحديبية وفتح مكة، إذ شهدت هذه المرحلة نشاطاً بالدعوة للدين عن طريق الرسائل والمكاتبات، علاوةً على النشاط العسكري الحاسم، وهما وسيلتان متزامنتان معاً في الفترة نفسها.

وقد قسّمه على ومضتين منفصلتين:

الومضة الأولى: (السلمية)، وعرض الدعوة للإسلام بالمكاتبات للملوك والأمراء، المرحلة السلمية.

والومضة الثانية: عرضت النشاط العسكري في هذه الفترة.

الثالث (المرحلة العسكرية).

وأما الإشعاع، عرض فيه مرحلة الإسلام الشامل، وهي تمتد من فتح مكة حتى وفاته ﷺ وجاءت على ومضتين كذلك:

الومضة الأولى، مرحلة الجهاد. وعرض الغزوات التي خاضها النبي الأكرم قبيل فتح مكة، ومنها غزوة الطائف، وغزوك تبوك، وقد كانت الأخيرة اختباراً شديداً امتاز به المؤمنون عن سواهم لقوله تعالى: ﴿ **مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾ [آل عمران ١٧٩]

وأما الومضة الثانية والأخيرة، فقد خصَّ بها الإسلام الشامل والدخول في دين الله أفواجاً، ثم مرض الرسول ﷺ، ووفاته، وكان مطلعها[٤٨]:

يَد الهِدايةِ قد لفَّـــتْ توائيهـــا والجاهِليّة قد فلَّـــت تشائيهـــا

فانظرْ

- إذا جاء نصر الله -

تلقَ من الوفـود مَـــنْ جاءَ

أفواجاً

يُوافيها

إذ إنَّ ما حدث بعد العودة من تبوك أدركت الجزيرة العربيّة أن السبيل الوحيد هو الإسلام، فتوافدت القبائل لتدخل في هذا الدين وسمّي ذلك العام بعام الوفود وفي ذلك نزلت سورة الفتح.

نقرأ[٤٩]:

لمّا الرَّسولُ رأى إثمارَ مَنهجِـــهِ وأنَّها لِلهُـــدى سارتْ مَهاديهـــا

كأَنَّ هاتِفَ وحي جاءَ يُبلغُـــــهُ

٤٨ هزّاع، ١٢٤_١٢٧.

٤٩ هزّاع، ١٢٦.

٥ (إنَّ النهايةَ محتومٌ تلقّيها)

فأعلَنَ العزمَ عـــن توديـــعِ أُمَّتـــهِ بحُجَّةٍ، حيثُ يَلقاهـــا وَيُوحيهـــا

شـــدَّ الرحـــالَ إلى البيـــت الحـــرام بعُمـــرةٍ، وفي حِجَّـــةٍ - بالوَحي نُوديها

وفي هذه الومضة يصور شعراً وفاة النبي الأكرم وردود أفعال الصحابة.

مـات الرَّسولُ، وما ماتـــت رسالتَـهُ وراحَ، لكـــن حَفِيرٌ في مَواقيهـــا

وبهذا البناء الملحميّ الرصين، تمكّن الشاعر من الإحاطة بكل صغيرة وكبيرة شهدتها حياة المصطفى المختار ﷺ، وبشكل مغاير ومختلف عما عهدناه في البناء الملحميّ للملاحم الكلاسيكية التي عادةً ما تتكون من مقدمة وعرض وخاتمة، وقد تمكّن الشاعر من سرد الحوادث، وتفصيل الوقائع وتمثيل المشاهد مما يُعدُّ في أعلى طبقات النظم الملحميّ.

ثانياً: الوحدة الموضوعّية

تحاكي قصيدة الديوان ... وسراجاً منيراً، سيرة حياة النبي المختار ﷺ، وتسرد تاريخ الأمّة الإسلامية والفتوحات العظيمة التي قامت في عهده الشريف، وتفصّل كيف استطاع هذا النبي العظيم الأُمّي، أن يعلّم الأمم دروساً في الجهاد والتضحية. ولذا فمن الطبيعي أن يبتعد الشاعر عن الذاتية في الطرح، وتنصهر ذاته في الذات الجمعية، ولاسيّما إذا عرفنا أن من أهم مزايا النظم الملحميّ " أنّه موضوعي يتحدّث فيه الشاعر عن أبطال بعيدين عن ذاته، فيعرض أحداثاً جرت لهم، ومحناً قاسية قد اجتازوها، ويصوّر حياتهم وأعمالهم وعواطفهم وأهواءهم وكلّ ما يتّصل بهم تصويراً موضوعياً "[٥٠]. ولا شكَّ أنّ هذه الموضوعية تتأتّى من طبيعة هذا الفن القائم على أُسس جمالية، والرامي إلى تصوير عواطف مشتركة، وغايات مشتركة، وتقاليد شعبية عامّة، وحياة جماعية متعاونة تذوب فيها الفردية "[٥١].

وعلى الرغم من نجاح الشاعر في تجاوز الذاتية خلال السرد التاريخي للأحداث، إلاّ أنّه لم يستطع أن يتمالك نفسه وهي تذوب ألماً وحسرة عندما يتطرّق إلى مرض الرسول الكريم ﷺ . ومن ثمّ وفاته، فما كان منه إلاّ الخروج إلى البوح الذاتي في حضرة خاتم الأنبياء، فنقرأ[٥٢]:

٥٠ بوصافة, فن الشعر الملحمي ومظاهره عند العرب , ٣٤ .
٥١ بوصافة, ٣٥.
٥٢ هزّاع, وسراجاً منيراً، رؤية شعرية للسيرة النبوية ,١٢٩ .

يا ريحَ نفسي! ومَلِحُ الدَّمعِ في مُوقي حرائق ليسَ يُجذبني توّقيها
فرافرَ الرَّوح - لما أن وقفتُ على فوق الرَّحال - فِراخٌ في تصابيها
لا الشَّعرَ لا السَّطر لا خبر الدَّواة قد تلجلجُ الذَّعرَ - تدري كيفَ تنهيها
ما تقدر الكلمات العاجزات على وصف النهايةِ - فالمعنى يُلوّيها

.....
.....

يا سيَدَ الثّقلينِ، الحرفُ مُنكسرٌ وصاحب الحرفِ ركسٌ في خواطيها
وما يُطيقُ لنعتِ الموتِ تكملةٌ إذ الحروف تنحّتْ في تحنيها
ياربُّ،باربُّ،ذابَ القلبَ وانفرطتْ عُرى الحُشاشةِ في نجوى تمحّيها
هذا نُبيُّكَ، لا تُوفي مَسيرتَهُ كلُّ اللُّغاتِ - فأنّى لي أوفّيها

وربما كانت النزعة الإنسانية بشكلٍ عام، هي الصفة الغالبة على هذه القصيدة؛ لأنّها تغنّت بالبطولات والشرف والمروءة والحرية والإباء. ملتزمة بالأحداث التاريخية والشخصيات الحقيقية التي صبغت هذه الوقائع، إذ تتعاقب الأحداث على وفق نظام مُحكم وحلقات تتّسم بالوحدة العضوية، والسرعة الزمنية، وفي هذا القبس كان يحاكي مرض الرسول الكريم ﷺ ومن ثمّ وفاته.

رابعاً: التشكّلات البطوليّة

زخرت قصيدة ... (وسراجاً منيراً)، بصوّر البطولة والفداء والتضحية، سواء أكانت فردية أم كانت جماعية، وهي تمثّل بشكل عامّ بطولة الإنسان المؤمن بقضيته. وكان بطلها الأوّل وفارسها المغوار، النبي الأكرم محمّد ﷺ. وقد تجسّدت فيه صفات البطل الملحميّ،فهو " رجل متفوّق جداً، شديد البأس، عظيم الهيبة، خارق القوة، كثير الذكاء، رفيع الخلق،سامي الأهداف، نبيل العاطفة، أبيّ النفس، يمّثل العدالة الإلهية وتتجسّد فيه قوى الخير، عليه تُعقد الآمال وباسمه تلهج الألسنة، وحول أعماله تدور أحاديث الناس وبه يعتصمون[٥٣]،وهو المثل الأعلى المحاذى، والقائد الظفر الذي تُعقد عليه الآمال[٥٤]. ولعلَّ أهمّ صفة يتحلّى بها

٥٣ بوصافة, فن الشعر الملحمي ومظاهره عند العرب ,٢٢ .
٥٤ غريب, الشعر الملحمي، تاريخه وأعلامه، ابن كلثوم، ابن حِلّزة، ابن شداد، سلسلة الموسوعة في الأدب العربي ,٦ .

بطل الملاحم هي التحدي لجميع الأخطار التي تعترض طريقه، وإيجاد المخرج والحلول في الأوقات العصيبة حيث " يتحدّى هذا البطل أيّ خطر يمكن أن يهدّده أو يهدّد قومه، يتحدّى الطبيعة وعناصرها والبشر وأسلحتهم وجيوشهم وشياطين الجن وآلهة الشرّ، يزلزل الجبال ويغيّر مجاري الأنهار، ويمنع الصواعق، ويصرع الأبطال، وتتجسّد فيه قوى الآلهة "[٥٥].

وقد وظّف الشاعر عدداً من التِقانات السَّردية لغرض تحقيق هذا السعي النبيل، من وصفٍ ومدحٍ، وتعليق مع التركيز على الصّفات الشخصية للأبطال كالشجاعة والبسالة والتضحيات والإقدام.. وغيرها، نقرأ له، في وصف بطولات النبي الأكرم ﷺ[٥٦]:

محمّدٌ - لِجرَّاتِ الدُّجى - قمرٌ ... وصَحبُهُ النُّجمُ الأفلاك تطريها
كم ساومته قريش في تعنُّدِهِ! ... فكان أصلب مِنها في تعنّيها!
كانت أشدَّ خِصاماً في نزاهته! ... فكان أثبتَ خِصم في تنزّيها

O " الشمسُ لو ركزوها عندَ ميمنتي وعند ميسرتي بدرٌ يحاكيها؛ ما حِدت عن دعوة الإسلام أنملة، ولا ارتضيتُ بديلاً عن تعاليها ".

في إشارة واضحة إلى موقف الرسول الأعظم ﷺ وصلابته في عدم التراجع عن رسالته السماوية، على الرغم من جهود قريش في مساومته على تركها.

ويستمر المبدع في هذا النفس الملحميّ، معدّداً صفات النبي الأكرم، وبطولاته وحلمهِ وسماحته وصبره، يقول[٥٧]:

يا أحلمَ النّاسِ، كم سطّرتَ مَلْحمةً! ... وكم ضَربتَ مِثالاً في تصدّيها!
لَمّا حَمِلتَ وسامَ الصَّبرِ مُستنداً ... على العزيمةِ، بالتقوى تواسيها
فما كسبت بحدِّ السيفِ معركةً ... إلاّ كسبتَ حُروباً في تفاديها
كم عذبوكَ! فما نالوا سوى رهقٍ ... وكم عفوتَ! إذا آذاكَ فاعيها
يا أجودَ الفرعِ، شَرَّفتَ الأصولَ فما ... أخزيتها! عندما عاداكَ خاسيها

٥٥ بوصافة, فن الشعر الملحمي ومظاهره عند العرب ,٢٣ .
٥٦ هزّاع, وسراجاً منيراً، رؤية شعرية للسيرة النبوية ,٤٥ .
٥٧ هزّاع, ٤٦.

ونجده يقف بإجلال أمام بطولات الرسالة المحمّدية، بدءاً من عمِّ النبي حمزة (رضي الله عنه)، ويفصل كيفية مناصرته للدين الإسلاميّ، وكيف كان إسلامه نصراً للدين الإسلامي في وقت حرج من تاريخ الرسالة المحمّدية، إذ نقرأ[٥٨]:

فالدّربُ يعطفُ بالإسلامِ منعطفاً يجني المهامةِ، والجنَّاتِ تمهيها
واللهُ ينصر في الأهوالِ من صبروا وليسَ يُهمَلُ بالإمهالِ مؤذيها
قدحُ الحَميَّةِ أورى زند ثارَته بصدرِ حمزة، فاحتمَّتْ مَذاكيها
لما تناهي إلى استفزازهِ نبأ أنَّ النَّبي شجيجُ الرَّأسِ مدميها
تقوَّس القوسَ مُقتصّاً ، فَعلَّمَهُ عَلامةً، وسمَتهُ في نَواهيها

وفي هذه الأبيات إشارة لفعل حمزة (رضي الله عنه) لما علمَ باعتداء أبي جهل على النبي ﷺ ومن معه حيث سعى إليه فضربه بقوس كان يتشحها فشجّه شجةً منكرة وقال له: يا مُصَفِّرَ استه، أتشتم ابن أخي وأنا على دينه؟

ويدرس البطولات الفردية الذائبة في الجماعية، فنجده يصف بطولات الإمام علي بن أبي طالب ﷺ وإسهاماته في إعلاء كلمة الإسلام ونصرته، إذ نقرأ[٥٩]:

السابقون إلى الإسلام مُبتدأ والأمّةُ الخَبرُ اجتُزَّتْ خَوافيها
أعزَّها اللهُ، لكن بعدما انْحرفتْ عن الصَّوابِ أذلَّتها مَناهيها
دانت لها الأممُ العطشى بنَبع تقى سَقى الحضارات - إيماناً - تندِّيها
طلائعُ المَنهَجِ الوضّاءِ كوكَبةٌ ما بالمجرّةِ أضواءٌ تُماهيها
هياكلٌ - من صميم العَزمِ - عُنصُرها تلوي الخُصومَ، وما صِنوٌ يُلوّيها

صحبٌ هُمُ النَّجمُ اللّماعةُ حولَ الرسالةِ بالأرواحِ تفديها

٥٨ هزّاع, ٤٧.
٥٩ هزّاع, ٣٥.

أعطـت مَحبتُهـا لِلمجـدِ مُجتمعَاً جمّـاً؛ تُجـدِّدهُ حُبَّـاً مَعاطيهـا
مـن آزرُوهُ فكانـوا سِرَّ دعوتـهِ أسـيافهُ اللّآت بالخوماتِ يمسيها
نُمُـوا إليـهِ ليـزدادوا بـهِ شرفـاً فاختصَّهمُ - بذُرى العَليا - تعلّيها

بأمَّـةٍ كـلُّ فـردٍ، منهُـمُ اصطنـعَ الدَّيـنُ المتيـنُ مُتُونـاً هُـم فقاريهـا

إذ نلحظ الشاعر وهو يشيد بدوره العظيم الذي يُعدّ أمةً في نصرة الدين الإسلامي.

خامساً: المعجزات والخوارق

فرضت طبيعة الموضوع الذي تناوله الشاعر في منظومته هذه، تجاوز أهم ملمح إنمازت به الملاحم الكلاسيكية وهو الأساطير والخرافات، والركون إلى المعجزات النبوّية الشريفة، فكلّ ما أورده الشاعر من أحداث ووقائع وشخصيّات هي من صميم الحقائق الواقعية التاريخية، فالملاحظ بشكل عام، على الملاحم المعاصرة أن عنصر الخرافات، يكاد أن يختفي أو ينعدم، وهذا طبيعي بحكم تغيير أساليب الحياة المعاصرة، التي لم تعد تركن إلى مثل هذه العناصر التي تبتعد عن الواقع والتاريخ، فعمل عمر هزّاع على حصر معجزات النبي الأكرم ﷺ وتتبعها بدءاً من حياتهِ قبيل مبعثه الشريف وانتهاءً بوفاته ﷺ فمدّت هذه المعجزات النّصّ، بطاقات حيّة من الإبداع والخيال وأعطت له أبعاداً وظلالاً مختلفة.

وإذا كانت أهمية هذه العناصر تكمنُ في الكشف عن جوانب جديدة في أسلوب وطريقة تفكير الشعوب خلال الحقبة التي يتمُّ فيها تأليف الملحمة، وعن بعض القيم السائدة عندهم، بوصفها " ترجمة لتلك القيم والمبادئ والتصوّرات الذهنية الجمعية، بل قد تكون إسقاطات لبعض الرغبات الكامنة المكبوتة لدى أعضاء المجتمع "[٦٠]، فإنَّ المعجزات النبوية في هذه القصيدة المحّمديّة، قد عملت على تعضيد الحقائق التاريخية وتثبيتها والتحّقق من صحّة الأحداث التي ورد ذكرها هذه الملحمة، زيادة على إضفاء عُنصر التشويق والإثارة ولاسيّما أنها معجزات حقيقية استلهمها الشاعر من سيرة المصطفى s وعمل على توظيفها داخل النص، وقد اتخذت صوراً وأشكالاً متنوعة.

٦٠ أبو زيد, أحمد, "الملاحم كتاريخ وثقافة، مثال من الهند، الرمايانا," مجلة عالم الفكر ٦, العدد (١٩٨٥): ١ ,١٣.

ومن ثمّ، نستطيع القول: إنَّ عمر هزّاع، استطاع من الناحية الفنيّة إضفاء شيء جديد لفن الملاحم العصرّية، ويتمّثل في تجاوز جانبي الخرافة والأساطير، وإضفاء عنصر المعجزات النبوية إلى هذه الملحمة المحمّديّة، والتي كانت مصبوغة بصبغة عصرها وأسلوب ناظمها، وسأقف عند القبس الخامس، الإشعاع السادس، في قصة الإسراء والمعراج، وكيف صوّرها شعراً، يقول[٦١]:

مُؤَيّداً، عَبرَ الآفاقِ يطويهـــــا ليلاً، بإعجاز مَسراهُ يُقفّيهـــا
جبريلُ يهتفُ - من فوقِ البُراق - له
◊ (معاً - إلى المسجد الأقصى - سنَمطيها، نقِيلةَ النُّورِ في سُرّ العُبورِ دُجَى، للهِ مُعجِزةُ الإسراء تعزيها)
تحيَّةَ القُدسِ - مِلْبيتِ الحرامِ وملأ سلامٍ - حامِلُها السَّاري يُحيّيها
هُنـــاكَ صَلّى إمـــامُ الأنبياءِ بِهُـــم فعانقتـــــهُ بمعـــــــراجِ عَلاليهـــا
نحـوَ السَّمـــاءِ بإذنٍ - إذ أجاز لـــهُ لِسدرةِ المُنتهَى - الأطباقَ - جازيها

.....

في إشارة واضحة لقصّة الإسراء والمعراج، عندما أُسري بالرسول s بجسده على الصحيح من المسجد الحرام إلى بيت المقدس راكباً على البُراق يصحبه جبريل ﷺ، وهناك صلّى بالأنبياء ثم عرج إلى السماء فرأى في طبقاتها الأنبياء وأقروا بنبوته وعرضت عليه البشرية ومصائرها وصولاً للسماء السابعة ثم رُفِع إلى سدرة المُنتهى ثم رفع له البيت المعمور ثم عرّج به إلى الجبار جلَّ جلاله فدنا حتى كان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى، وفرض عليه الصلوات، وعلى أمته، فلما أصبح في قومه وأخبرهم عن آيات الله الكبرى، كذّبوه وحاجوه ولكنّه أقحمهم فما ازدادوا إلاّ تكفيراً لكنّه الحق الذي بانَ لهم في دلائله وليس لهم من خيارٍ سوى التصديق.

ونجد عدداً آخر من المعجزات التي نزلت على الحبيب المصطفى ﷺ، ومنها نزول الملائكة تقاتل في معركة بدر، إذ يقول[٦٢]:

٦١ هزّاع, وسراجاً منيراً، رؤية شعرية للسيرة النبوية ,٥٦ .
٦٢ هزّاع, ٧٩.

فأرسـلَ اللهُ ألفـاً مـن مَلائكتـهِ تَسلسَـلُوا في تراخيها، فشـدُّوها
إذ مَـدَّهُ بجُنُـودِ مُردفـين عـلى مَتـنِ الخُيُـولِ بأسـواطٍ، فدَمُّوها
وجبريـلُ شُـعاعُ القُـدسِ مُقتحِمٌ عـلى ثنَايـاهُ نقـعٌ ثـارَ يشـعُوها
(سَـيَهزمُ الجمعُ)، يا بُـشراكِ مُنزلةً صُبّت على صُبَّرِ الهيجاءِ، فهاجوها

وفي هـذه المقطوعـة النصيّة، نجـد الشـاعر يشـير إلى معركـة بـدر، وهـي أول معركـة فاصلـة في الإسـلام، عندمـا احتـدم القتـال وحمي الوطيـس قـال رسـول الله - صـلّى الـه عليـه وآلـه وسـلّم - : "اللهـمَّ إن تهلـك هـذه العصابـة اليـوم لا تعبـد" فأوحـى الله إلى ملائكتـه: ﴿ **إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ** ﴾ [الأنفـال: ١٢]، وأوحـى إلى رسـوله: ﴿ **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ** ﴾ [الأنفـال: ٩]، يترادفـون في النـزول،أي لا يأتـون دفعـةً واحـدةً.

ولم يترك الشاعر أيّ حدث للرسول الكريم ﷺفي حياته الشريفة إلاّ وذكره مستنصراً بآيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة، مسنودة بمصادرها الموثقة، ومن ثمّ يمكننا القول: إنّه قد برزت المعجزات النبوية الشريفة في هذه الملحمة المعاصرة بديلاً عن الأساطير والخرافات الشائعة في الملاحم الكلاسيكية، وهذا يثبت القول إنَّ الشعراء " لا اللغويين، ولا النحويين،ولا معلمي الإنشاء، هم الذين يحرّكون اللُّغة، ويطوّرونها، ويحضرونها، ويعطونها هوية العصر "[٦٣].

ثالثاً: اللُّغة الشَّعريّة

عمـر هـزّاع، شـاعر متحكّـم في لغتـه الشـعرية، وذو بصمـة خاصّـة جمعـت بـين الأصالـة والحداثـة، فهـو امتـداد حقيقـي لأسـاطين الشـعر العـربي، يتمّثـل شـعرهم ويقتبـس مـن رؤاهـم لكنّـه لا يـذوب فيهـم ويتلاشـى، فهـو ابـن عـصره البـار ومنحـوت بإيقاعـهِ ووقعـهِ[٦٤]، ولـذا فقـد رأيناه في قصيدتـهِ هـذه، يحـاول استثمار اللُّغـة بمفرداتهـا وتراكيبهـا سـواء أكانـت قديمـة أم حديثـة ويضفـي عليهـا مـن حسّـه القومـي، وروحـه الوثابـة مـا يطبعهـا بطابـع مائـز، ويدخلهـا في جـو

٦٣ نزار قباني, قصتي مع الشعر، سيرة ذاتية, د.ط. (منشورات نزار قباني, د.ت.) ,٥٠-٥١ .
٦٤ هزّاع, وسراجاً منيراً، رؤية شعرية للسيرة النبوية ,٧ .

قصيدة تختلف تماماً عمّا عهدناه من نصوص مماثلة أُخرى.

وقد انمازت بالخروقات اللغوية لما هو مألوف، وهذه الظاهرة كثيراً ما تُغلق باب إدراك المعنى عند المتلقّي، وهو يحاول دائماً التجديد والابتكار من منطلق التجريب الشعريّ المشروع معتمداً في ذلك على الشكل العمودي الخليلي للقصيدة العربيّة المتوارثة، كما إنَّ القارئ لهذا الديوان يُدرك احتفاء لغته بالقلق والتوتّر على الرغم من كونه يعالج سيرة المصطفى الأكرم ﷺ، إلاّ إنّنا نلمس ذلك في بعض المقطوعات المتفرّقة هنا وهناك في الديوان، التي يتماهى بها مع نفسه، وهو يبثّ ألمه ووجعه من التدهور الذي تعيشه أمّة المصطفى ﷺ، والتمزّق والضياع والصراعات الدامية بين أفرادها ومجتمعاتها.

وقد حاول في قصيدته هذه، المناسبة بين عراقة العربيّة، فعمد إلى " تمعين " اللفظة، أي إحياء دلالتها كما استعملت في زمانها و" تمكين " اللفظة بتبيان معناها في الهامش، لإنعاشها في ذاكرة المتلقّي المعاصر، فتدخل في كفايته اللغوية بغير مشقّة كما يعبّر أيضاً بأخيلته ورؤاه وتحليله عن روح عصره، فجمع بذلك بين الرصانة والحداثة "[٦٥].

يقول مثلاً في ما تعاوره من ظروف نفسيّة وزمانية ومكانية، مستعملاً تكنيكاً شعرياً جديداً للتناص، يحسب له، وقد تكرّر مثله في مواقع عديدة في القصيدة[٦٦]:

ما أنصفَ الوقتُ أشعاري لِأُلقيها تسعى وَأَضمُمَ كفِّي في تواحيها
إذْ يَمَّني العُمرُ عن يقطينني فبَدَت سوءاتِ حَظِي، تُعريها مرازيها
فبِتُّ أسكُبُ عبراتِ القريضِ وَما أَدري أيقبلُها ربّي؟ وَيُربيها؟

إذ نلحظ في قولهِ، إذ يمّني العمر عن يقطينني فبدت سوءات ..، تكنيك تناصّ بالتراصّ للرموز بين: يقطينة يونس ﷺ، التي سترته، وغذّته وما بدا على أبينا آدم - عليه السلام - ممّا تكشّف بعد وسوسة الشيطان له، وبينهما رابط رمزي بين يم موسى ويونس ونوح الذي يشكل ذراعاً يمتد للواقع الحالي للشاعر.

٦٥ هزّاع,٧.
٦٦ هزّاع,١٨-١٩.

ويختلف هذا التكنيك عمّا في البيت الذي سبقه: ما أنصف الوقت أشعاري لأُلقيها تسعى..، من مجرّد اتّكاء على تراصّ صور شعريّة لعصا موسى وكفه - معجزاته - في جو من الثقة بوجود الله معه يسمع ويرى، لبناء مقارنة مع قلق وتوتّر الواقع الراهن للشاعر وما يحيط به من ظرف عسير يضطره للتسابق مع الوقت لإنجاز قصيدته قبل أن تدهمه حوادث الحرب التي قد تنهي حياته قبل أن ينهي هو عمله "[٦٧].

ولقد استعان بعدد من الأساليب اللغوية المعروفة، من قبل أسلوب الطلب، فنجد الاستفهام وأنواعه، والنهي، والنفي، والنداء وغيرها، فضلاً عن توظيف الأساليب البديعية المختلفة لربط أجزاء القصيدة من قبل، التكرار بأنواعه، والتضادّ، والسجع، والجناس، والموازنات التركيبية والتوازي الصوتيّ، والذي عمل على توليد نوعٍ من الإيقاع الداخلي يضاف إلى إيقاع القصيدة الخارجيّ، كلُّ هذه الأساليب وغيرها أضفت جماليات مهمّة على السَّرد الشعري كما أدّت إلى تسريع السرد.

وحتى لا يكون كلامنا مجرّد تنظير، حسبنا أن نجتزئ من مجموع ١٢٥ بيتاً شعرياً، نصّاً من ١٠ أبيات، ونحاول تفكيك تمفصلاتها اللغوية وقد اخترنا المقطوعة التي قالها في بيان حال الناس عامّة وأهل مكة خاصّة إبّان ولادة المصطفى «،

٦٧ هزّاع، ١٨.

يقول[٦٨]:

١- تنـازعَ النّـاسُ دنياهُـم ومـا فيها وراودتهُـم فـزادَت غيَّهُـم تِيهـا
٢- واخلولقَ الضَّعفُ حتى لم يعُدْ سَبباً لِوصمـةِ العـارِ أنَّ الخَـرقَ يُبليهـا
٣- قبائِـلُ العَـربِ انشـقَّت إلى فرقٍ أعداؤهـا شُركاءُ في تَشريِّهـا
٤- السّلمُ والحربُ ضربٌ مِن نَقائِضها والسَّبيُ والسَّلبُ خِطبٌ مِن تَقَاضيها
٥- والغَصـبُ والنَّهبُ فنٌّ مِن غنائِمِها والـوأدُ والضَّهـدُ أنَّ مِـن مغَانيهـا
٦- والنَّثـرُ والشّـعرُ رَهـوٌ في نوادِرها والخَمـرُ والعُهـرُ لهـوٌ في نواديهـا
٧- والـشِّركُ والطّيرُ الحَمقـاءُ مفخرةٌ تَرقـى بها، وعـلى الأنصـابِ ترقيها
٨- لَـولا أرُومـة أخلاقٍ بهـا انطبَعَت عنهـا تَحـدَّثَ دانيهـا وقاصيهـا
٩- مِـنَ المـروءةِ والإقـدام أوّلُهـا وَخِلَّـةِ الجُـودِ والتَّبيـانِ تاليهـا
١٠- لَمَا اسـتمر لهـا ذِكـرٌ ولا انتُقِيتْ ليسـتقَرَّ لهـا ذِكـرٌ يُوقِّيهـا

فـأوّل مـا يلحـظ في النـصّ هـذا، اسـتعمال المبـدع، اللفظـة مـا يناسـبها وهـذا مـا يسـمّى في البلاغـة العربيّـة بـــ مراعـاة النظـير، التـي جعلهـا الشـيخ عبـد القاهـر الجرجـاني (ت ٤٧١هـ) شرطـاً مـن شروط تحقيـق البلاغـة والفصاحـة[٦٩]، وهـي في علـم النـصّ، علاقـة معجميـة، إذ يقـوم الكاتـب بإظهـار الـشيء ومـا يصاحبـه أو يناسـبه لا عـلى جهـة التضـادّ، مـن قبيـل العلاقـة بـين المرض والطيب، والنكتة والضحك، والقط والفأر[٧٠]، ويسمى بـــ (علاقة التلازم الطباقي).

ونجـد ألفاظـاً مـن قبيـل (السَّـبيّ والسَّـلب، والغضـب والنهـب، والـوأد والضَّهـدُ والنثـر والشـعر والخمـر والعُهـر، والـشَّرك والطّـير، والـداني والقـاصي، والمـروءة والإقـدام).

فعكسـت هـذه المتلازمـات أحـوال العـرب وصـوّرت حياتهـم الفوضويـة قُبيـل البعثـة النبويـة الشريفـة، فبـدت الثوابـت والمتغيـرات، التـي هـزّت كيانهـم وغـيّرت عاداتهـم بمقـدم الـسراج المنير.

٦٨ هزّاع, ٢٤.
٦٩ الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمّد, دلائل الاعجاز, قرأه وعلّق عليه. محمود محمّد شاكر, ط ٣ (القاهرة: دار مدني, ١٩٩٢), ٤٤-٤٥.
٧٠ خطابي, محمّد, لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب, ط٣ (الدار البيضاء المغرب: المركز الثقافي العربي, ٢٠١٢), ٢٥.

ونجد التضادّ الإيجابي والسلبي كذلك في (السلم، والحرب، أوّلها وتاليها، قاصيها ودانيها)، فاستطاع أن يقلب المعاني الراسخة في ذهن المتلقي إلى ضدّها، ونلمح التكرار بأنواعه، من تكرار العنصر نفسه وكثرة القلقلة من مثيل حروف الدال، والخاء والقاف، والسين، والغين، وكلها حروف قلقة تشير إلى حالة المبدع وتوتره إزاء ما يجري من أحداث، ثم نجد التكرار الجزئي في قوله: (ترقى بها، وترقيها).

والموازنات الصوتيّة وما أحدثته من إيقاع داخلي، والمقابلات التركيبية، وغالباً ما جاءت متعاضدتين معاً، لتكونا نصاً متماسك البناء مسبوكاً نحويًّا وصوتيًّا.

وكذلك نجد الجناس الناقص، من مثل قوله: (نقائضها وتقاضيها وغنائمها وبمفاتنها، رهو ولهو ونوادرها ونواديها، وترقى بها وترقيها)، فأحدث في النصّ تجاوباً موسيقيًّا صادرًا عن تماثل الألفاظ المتجانسة، تتشوق له النفوس وتهتز له القلوب، فهو يقوم بعملية خلق الموسيقى الداخلية للنصوص، وربط ما بين ألفاظه من وشائج التنغيم[٧١] .

ونجد المبدع أيضاً يحتفي بالمقاطع الصوتية الطويلة، من مثل قوله: (راودتهم، تشريها، تقاضيها، مغانيها، نواديها، ... الخ)، وهذا يتطلّب امتلاء الرئتين بالهواء، عكس ما هو عليه عند النطق بمقاطع صوتية قصيرة، وهو دليل على مدى نفس الشاعر الطويل وشاعريته المتجدّدة.

ونلحظ في النصّ، هيمنة البنية الفعليّة، على البنية الإسميّة، ودلالتها على الحركة والتحوّل والتغّير، بدل الثبات والجمود، من مثل قوله: تنازع، ويراود، واخلولق، انشقّت وانطبعت، وتحدّت.. ".

تأسيساً على ما سبق، نلحظ اللُّغة الشعرية المتمكنة، المكتظّة بأساليب البلاغة والفصاحة التي سبكت نص القصيدة وجعلته أكثر تماسكًاً وتلاحمًاً، فقد جاءت هذه القصيدة، في بناءٍ بلاغي من بديع وبيان، فكانت إحدى عجائب التشكيل الشعري بكلّ ما عرفه الشعر العربي من أساليب بناء وتقانات مكرّرة ومبتكرة.

٧١ قيود ,بسيوني عبد الفتاح, علم البديع، دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع, ط٣ (مؤسسة المختار للنشر والتوزيع, ٢٠١١), ٢٨٧.

الخاتِمــة:

مرَّ الشعر العربي بتحوّلات كثيرة رافقت مسيرته الطويلة، وكان لكلّ مرحلةٍ خطابها الشعري الذي مثّلها خير تمثيل، وفي العصر الحديث وتحديداً بعد مرحلة ما يسمّى بـــ الربيع العربي، وما رافقه من ثورات قلّبت معالم الحياة السياسية والاجتماعية والدينيّة والاقتصادية، فاحتاج الشاعر إلى العودة إلى القصائد الطِوال، بعدما كادت القصيدة العربيّة أن تختصر ببيت أو بيتين، وفي إطار التجريب الشعري وبحركة مضادّة ارتدادية، نظم عدد من الشعراء القصائد التي تشكل بمجموعها ديواناً شعريًّا كاملاً، وهو ما أطلق عليه (القصيدة الديوان) أو (النصّ الديوان)، ومن هؤلاء الشعراء: الشاعر السوري عمر هزّاع، الذي بلغ على يديه هذا النوع من النظم قمّة نضجه الفنّيّ والإبداعيّ، في ديوانه.. وسراجاً منيراً، والذي قمنا بدراسته وتحليل سماته وخصائصه الملحميّة، وقد انتهينا بمجموعة من النتائج نوجزها على النحو الآتي:

١-ظهرت القصيدة الديوان، ردَّ فعلٍ على التحوّلات الكبرى في البنى السياسية والثقافيّة والاجتماعيّة والدينيّة، ومحاولة لردم فجوة القطيعة التي حدثت بين الشعر الجماهيري والمتلقّي، بعدما كاد الشعر أن يختزل بالتوقيعة أو الومضة، في محاولة من الشاعر لإعادة إحياء القصيدة الطويلة ذات النفس الملحميّ التي تتغنّى بالأمجاد والبطولات والتي تمكّن الشاعر من قول كلّ شيء، وتفصيل الوقائع، وفضح المسكوت عنه.

٢-كتب الشاعر المعاصر ما يسمّى بـــ الشعر الملحميّ، لكن بطريقته الخاصّة التي اختلفت عن الملاحم الكلاسيكيّة، وإذا كانت تلك الملاحم قد مثّلت طفولة الشعوب، فنحن في عصرنا الراهن، نعيش أسوأ مراحل الطفولة، إذ عاد الدين غريباً وانتشرت الصراعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكثُرت الحروب وساد التخلّف والجهل والفتن الداخلية والطائفية، فمن الطبيعي أن نجد النفس الملحمي في القصائد الديوان، بوصفهِ مضموناً فنيًّاً لا زال مستمراً يحتضن الإنسان المعاصر ويعبّر عن همومه وتطلّعاته، فإذا كانت الملحمة قد انتهت شكلاً في الكتابات الشعرية والدرامية فإنَّ الملحميّ لا يزال مستمراً.

٣-بلغت القصيدة الديوان في عصرنا الراهن قمّة نضوجها الفنّيّ والإبداعي على يد الشاعر

السوري عمر هزّاع، بعدما كتب قصيدته.. وسراجاً منيراً، وهي قصيدة، بحثٌ شعريٌّ في السيرة النبويّة المُطهّرة، تبحث حياة المصطفى المختار s وعصره ومن عاش فيه، وما حدث فيه، وإلقاء الضوء على جوانب شخصيته ﷺ الملهمة، وعلى أخلاقه وكمال معانيها، وعلى تفاصيل حياته وجزئياتها الدفينة ودروسها ودوافعها ونتائجها، وتحاول مقاربة كل هذا بواقع الأمّة الإسلامية الآن.

٤-نظم هذا الديوان في مدّة الحرب الأهلية في سوريا ٢٠١٥، والشاعر ينتقل مع أسرته حاملاً وجعه وآلامه ما بين مسقط رأسه في دير الزور، وبين مدن سوريا الأُخرى إلى أن استقرَّ به المقام في الدوحة، وسيرة المصطفى الكريم ﷺ تتمثّل أمامه، ومتمنيًّا أن ينبعث هذا البطل الملحميّ من جديدٍ، علّه ينقذنا ممّا آلَ إليه وضع أمته، مجسّداً مقولة أنّ الشعر الملحميّ، يمثّل فن ارتباط الشعب بتاريخهِ وبطولاتهِ وبوطنهِ وهويتهِ وأصالتهِ، فهي قصيدة تعكس بشكل أو بآخر، واقع وآمال العالم العربيّ الإسلاميّ.

٥-جمعت هذه القصيدة بين تسامي روح الشعر الملحميّ وتجلّيات العقل في نقل حقائق تاريخيّة ومفصلّية في سيرة المصطفى الأمين الطاهرة، جاء ذلك بلغة متوازنة عجيبة تفتح عقل المتلقّي دون أن تستلب روح الشعر وجمالية البناء وروحانية الموضوع، فحاول أن يقارن بين ما كان من عظمة الإسلام وما آل إليه الدين الإسلاميّ، وهو يتسحّر وجعًا على التمزّق والتشّتت والضياع والذلّ والمهانة، بعد العزّة والكرامة والوحدة والاتّحاد.

كل هذا جاء في قصيدة عموديّة واحدة جاءت على عدّة فصول مترابطة متجدّدة في بداية كلّ فصل شعريّ بما يناسب محتواه. وعلى مدار ١٢٥٠ بيتاً شعرياً أو تزيد في تشكيل بنيوي مرتّب ومتعاقب زمنياً على وفق أحداث حياة المصطفى ﷺ

المصادر:

القرآن الكريم

أبـو زيـد، أحمـد. "الملاحـم كتاريـخ وثقافـة، مثـال مـن الهنـد، الرمايانـا." مجلـة عـالم الفكـر ٦، العـدد. ١ (١٩٨٥).

البستاني، سليمان. إلياذة هوميروس، " معرَّبة نظماً ". د.ط. بيروت: دار المعرفة، د.ت.

الخطيـب، حسـام. آفـاق الأدب المقـارن عربيـاً وعالميـاً. ط٢. دمشـق: دار الفكـر، ٢٠٠٣.

القنائـي، أبي بـشر متـي بـن يونـس. كتـاب أرسـطو طاليـس في الشـعر. تحقيـق شـكري محمّـد عيـاد. القاهـرة: دار الكتـاب العـربي للطباعـة والنـشر، ١٩٦٧.

بنيـس، محمّـد. الشـعر العـربي الحديـث بنياتـه وإبداعاتهـا. الـدار البيضـاء: دار توبقـال للنـشر، ٢٠٠١.

بوصافـة، أحمـد. فـن الشـعر الملحمـي ومظاهـره عنـد العـرب. ط١. دار الـشرق الجديـد، ١٩٦٠.

جينيـت، جـيرار. عتبـات، مـن النـص إلى المنـاص. ترجمـة عبـد الحـق بلعابـد. ط١. الجزائـر: دار الاختـلاف، ١٤٢٩.

خرقـي، محمّـد الصالـح. فضـاء النـص، نـص الفضـاء، دراسـة نقديـة في الشـعر الجزائـري المعـاصر. ط٢. القبـة: منشـورات آرتيسـتيك، ٢٠٠٧.

خطـابي، محمّـد. لسـانيات النـص، مدخـل إلى انسـجام الخطـاب. ط٣. الـدار البيضـاء. المغـرب: المركـز الثقـافي العـربي، ٢٠١٢.

خفاجـي، محمّـد عبـد المنعـم. دراسـات في الأدب المعـاصر. د.ط. القاهـرة: مكتبـة الكليـات الأزهريـة،دارالطباعـةالمحمّديـةبالأزهـر،د.ت.

عثـمان، أحمـد. الأدب الإغريقـي تراثـاً إنسـانياً وعالميـاً. ط٢. القاهـرة: دار المعـارف، د.ت.

غريـب، جـورج. الشـعر الملحمـي، تاريخـه وأعلامـه، ابـن كلثـوم، ابـن جِلّـزة، ابـن شـداد، سلسـلة الموسـوعة في الأدب العـربي. د.ط. بـيروت: دار الثقافـة، د.ت.

ڤيـود، بسـيوني عبـد الفتـاح. علـم البديـع، دراسـة تاريخيـة وفنيـة لأصـول البلاغـة ومسـائل البديـع. ط٣. مؤسسـة المختـار للنـشر والتوزيـع، ٢٠١١.

قبـاني، نـزار. قصتـي مـع الشـعر، سـيرة ذاتيـة. د.ط. منشـورات نـزار قبـاني، د.ت.

كحـوال، محفـوظ. فـن الملاحـم، الأصـول والنشـأة والتطـور، أوديسـة هومـيروس. د.ط. قسنطينة: دارنوميديـاللطباعـةوالنـشروالتوزيـع،٢٠٠٩.

كفـاني، محمّـد عبـد السـلام. في الأدب المقـارن، دراسـات في نظريـة الأدب والشـعر القصـصي. ط١. بـيروت: دار النهضـة العربيّـة للطباعـة والنـشر، ١٩٧١.

محـرم، أحمـد. ديـوان مجـد الإسـلام أو الإليـاذة الإسـلامية. أشرف عـلى تصحيحـه ومراجعتـه محمّـد إبراهيـم الجيـوشي. د.ط. القاهـرة: مطبعـة المـدني، ١٩٦٣.

الجرجـاني، عبـد القاهـر بـن عبـد الرحمـن بـن محمّـد. دلائـل الاعجـاز. قـرأه وعلّـق عليـه محمـود محمّـد شـاكر. ط٣. القاهـرة: دار مـدني، ١٩٩٢.

هـزّاع، عمـر جـلال الديـن. وسراجـاً منـيراً، رؤيـة شـعرية للسـيرة النبويـة. ط١. المملكـة العربيّـة السـعودية: النـادي الأدبي في منطقـة الباحـة، ٢٠١٦.

هيمـة، عبـد الحميـد. علامـات في الإبـداع الجزائـري. د.ط.، د.ت.

References:

Abu Ya'la، Ahmad bin Ali bin al-Muthanna bin Yahya bin Isa bin Hilal al-Tamimi al-Mawsili. Musnad Abi Ya'la. Edited by Hussein Salim Asad. No edition. Damascus - Beirut: Dar al-Mamun li al-Turath، no date.

Al-Amali، Muhammad bin Hassan. Tafsil Wasail al-Shia ila Tahsil Masail al-Shariah. 1st edition. Qom: Muassasat Al al-Bayt alaihim al-Salam، 1409 AH.

Al-Askari، Abu Hilal al-Hasan bin Abdullah bin Sahl bin Saeed bin Yahya bin Mahran. Kitab al-Sina'atayn. Edited by Ali Muhammad al-Bajawi and Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim. 1st edition. Beirut: Al-Maktaba al-Asriyya li al-Tiba'a wa al-Nashr، 1419 AH.

Al-Farahidi، Al-Khalil bin Ahmad. Kitab al-Ayn. Edited by Mahdi al-Makhzoumi and Ibrahim al-Samarra'i، no date.

Al-Jurjani، Al-Qadi Ali bin Abdul Aziz. Al-Wasatah Bayna al-Mutanabbi wa Khusumihi. Edited by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim and Ali Muhammad al-Bajawi. 4th edition. Egypt: Isa al-Babi al-Halabi wa Shurakah، 1966.

Al-Kafi، Ahmad bin Ali bin Abd Abu Hamid، and Baha al-Din al-Subki. Arus al-Afrah fi Sharh Talkhis al-Miftah. 1st edition. Beirut - Lebanon: Al-Maktaba al-Asriyya li al-Tiba'a wa al-Nashr، 2003.

Al-Misri، Abu al-Rabee Sulaiman bin Binnin bin Khalaf bin Awad Taqi al-Din. Itifaqa al-Mabani wa Ifteeraqa al-Ma'ani. Edited by Yahya Abdelraouf Jabr. 1st edition. Amman: Dar Ammar، 1985.

Al-Mu'taz، Abdullah bin. Al-Badi'. Edited by Ignatius Krachkovsky. No edition. Baghdad: Maktabat al-Muthanna، 1979.

Al-Naysaburi، by Imam Al-Hafiz Abu Abdullah Al-Hakim. Al-Mustadrak ala al-Sahihayn. No edition. Beirut - Lebanon: Dar al-Ma'rifa، no date.

Al-Qummi، Al-Shaikh Abbas. Mafatih al-Jinan. Edited by Al-Sayyid Muhammad Reza al-Nuri al-Najafi. 1st edition. Beirut - Lebanon: Dar al-Murtaza li al-Tiba'a wa al-Nashr، 2019.

Al-Raysahri، Muhammad. Mizan al-Hikmah. 1st edition. Lebanon: Dar Ihya al-Turath al-Arabi، 2001.

Al-Sajlmasi، Abu Muhammad al-Qasim. Al-Munazza' al-Badi' fi Tajnis Asalib al-Badi'. Introduced and edited by Allal al-Ghazali. 1st edition. Morocco: Maktabat al-Ma'arif، 1980.

Al-Shami، Al-Tabarani; Sulaiman bin Ahmad bin Ayyub bin Matir al-Lakhami. Al-Mu'jam al-Awsat. Edited by Tariq bin Awad Allah bin Muhammad Abu Mu'adh. Cairo: Dar al-Haramayn li al-Tiba'ah، no date.

Atiq، Abdul Aziz. Ilm al-Ma'ani. 1st edition. Beirut - Lebanon: Dar al-Nahda al-Arabiyya li al-Tiba'a wa al-Nashr wa al-Tawzi'، 2009.

Bazi، Muhammad. Nazariyyat al-Ta'wil al-Taqabuli Muqaddimat li Ma'rifah Badila bil Nass wal Khitab. 1st edition. Morocco: Dar al-Aman li al-Nashr، 2013.

Ibn Tawus، Al-Sayyid Radi al-Din Ali bin Musa. Al-Muhaj al-Min al-Du'a' al-Mujtaba. Edited by Safa al-Din al-Basri. No edition. Qom: Dar al-Wila، no date.

Ibn Wahb، Abu al-Husain Isaaq bin Ibrahim bin Sulaiman. Al-Burhan fi Wujuh al-Bayan. Edited by Mustafa Ahmad and Khadija al-Hadithi. 1st edition. Baghdad: Baghdad University، 1967.

Qudama bin Ja'far. Naqd al-Shi'r. 1st edition. Constantinople: Matba'at al-Jawa'ib، 1302 AH.

Rajwan، Mustafa. Fi Balaghat al-Khitab min Badi' al-Lafdh ila Badi' al-Ta'wil. Introduced by Muhammad Bazi. 2nd edition. Amman - Jordan: Dar Kunuz al-Ma'rifa al-Ilmiyya li al-Nashr wa al-Tawzi'، 2020.

Tha'alab، Ahmad bin Yahya. Qawa'id al-Shi'r. Edited by Muhammad Abdel Moneim Khafagi. 1st edition. Egypt: Mustafa al-Babi al-Halabi wa Awladuhu، 1948.